مقالات الزهور

فيما أفصحت عنه من الأمور

نور الدين الغزال

ليليث للنشر والتوزيع

obeikandl.com

نور الدين الغزال

مقالات الزهور

رقم الايداع / ١٩٥٠٥ / ٢٠١٤

الترقيم الدولى /٠ - ٤٥ - ٥٣١١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

غلاف / محمد عبد العزيز

حقوق الطبع محفوظة لدى الناشر

ليليت للنشر والتوزيع

الإشراف العام / إيمان سعيد

هيئة تحرير ومراجعة

د/ سالم ابراهيم سالم

أ / رشا زقيزق

أ/ محمود السيد

المراسلات : ٦٠ ش سكينة بنت الحسين

كفر عبده - الإسكندرية

ت : ٠١٢٢٤٢٧٣٢٧

: ٠١١٤٤٥٩٥٧٥٧

DAR.LILITTE@GMAIL.COM

LILETTEPUBLISHING@GMAIL.COM

WWW.LILITHPUBLISHINGHOUSE.COM

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤن الفنية

نور الدين الغزال

مقالات الزهور فيما افصحت عنه من الأمور

دار ليليت للنشر والتوزيع ،٢٠١٣ ط١

ص ،سم ١٣×٢٠

تدمك /٠-٤٥-٥٣١١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

رقم الايداع / ١٩٥٠٥ / ٢٠١٤

obeikandl.com

الإهداء

إلى كل طالب علم يلتمس به محبة الله

وإلى كل روح زكية تسمو إلى المطالب الغالية.

وإلى دار ليليت التي كان لها الفضل

في إذاعة هذه المقالات .

obeikandi.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على حبيبنا محمد وعلى آله وصحبه

obeikandl.com

obeikandl.com

قال الإمام الغزالي رحمه الله: في كتاب الإحياء الجزء الرابع عند ذكره للمحبة أما بعد فإن المحبة لله، هي الغاية القصوى من المقامات و الذروة العليا من الدرجات فما بعد إدراك المحبة مقام إلا و هو ثمرة من ثمارها و تابع من توابعها عزيزي القارئ: إن مقصدنا من هذا الكتاب هو شرح لبعض مقامات الروح في سلوكها لطريق الحق الموصل لمحبة الله تعالى. و لأن هذه المحبة هي أسمى ما في هذا الوجود فقد ارتأيت أن أرفع قلمي المتواضع وأكتب ما أستطيع عليه من سطور مستنبطًا معانيها وإشاراتها.

أولاً: من كتاب ربنا الحكيم ألا وهو القرآن العظيم.

ثانيًا : مما توفر لدي من أحاديث نبوية شريفة.

وثالثًا:من مطالعاتي لكتب مفيدة ككتاب الإحياء للغزالي وكتاب، اللمع للسراج الطوسي وكتب أخرى ذكرت جلها في آخر هذا الكتاب. وقد جزأت الكتاب إلى ثلاثة أجزاء موجزة وجعلت لكل جزء افتتاحية بسيطة وخاتمة مثلها.

والآن سأترك للقارئ الكريم قراءة هذا الكتاب والنظر إليه فإن وجد فيه خيرًا فذلك من فضل الله تعالى وإن رأى به نقصًا فما أبرئ نفسي وما أنا إلا بشر أصيب أحيانًا وأخطئ أخرى والله أسأل أن يغفر لنا و يتجاوز عن سيئاتنا والله الموفق وبه نستعين.

الغزال

نور الدين

٣٢- ٥ - ٣١٠٢ م.

obeikandl.com

الجزء الأول

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم و الحمد لله رب العالمين الموصوف بأكمل وأعز الأوصاف والموسوم بأعظم وأسمى الأسماءو الصفات و المعروف بالجودوالعطاءوأشرف المنن والهبات سبوح قدوس رب الملائكةوالروح ليس كمثله شيءرب السماوات و الأرض ونورهما وكان عرشه على الماء الغني الذي كان ولم يكن معه شي، سبحانه لا إله إلا هو وصلى الله وسلم وبارك على الحبيب المحبوب محمد طب القلوب ودوائها و عافية الأبدان و شفائها و نورالأبصارو ضيائها وعلى آله وصحبه الأخيار.

أما بعد فلقد وضعت هذاالكلام على لسان زهور روحانية للتعبير عن حقائق حقانية لتصفية النفس من رعوناتها الدنيئة وعاداتها القبيحة و تزكيتها بروائح عطرة وخصال طيبة ثم السمو بها إلى منازل فيها نصبت خيام المحبين وعرجت إليها أرواح الأوابين وتعلقت بها قلوب المنيبين،وجعلت لكل زهرة لسانا تشير به إلى حقيقة من حقائق العرفان والله أرجو أن يتقبل مني هذا البيان فإني إلى عفوه و رحمته أحوج.

أصيلة ١ يوليو ٢٠١٢م / ٢شعبان ١٤٣٣هـ.

obeikandl.com

أما بعد فهذه أزهار وورود قل وجودها على بساط هذه الأرض التي عاث فيها الفساد بما كسبت أيدي الناس،قد جمعتها بعد بحث شاق كدت خلاله أن أولي الأدبار خالي اليدين لولا لطف الله سبحانه و توفيقه. سألت نفسي قبل أن تسائلني لماذا فعلت هذا و ما قيمة هذه الأزهار ولمن هي؟

كنت يوما غير بعيد مارًا بأرض فتذكرت كم كانت تنتصب فوقها أو تفترشها جنان وحقول بها من ألوان الأشجار و النبات ما يأخذ بالأبصار و يهيج النفوس حتى أن منها من تهديه سبيلا يعني مثل أن تنفس عنه كربة أو تلهمه رشدا أو تجذبه إلى التأمل و التفكر في بعض ما خلق الباري سبحانه أو يرى ما لا ترى و لا أرى.

أخذني هذا التذكر أو بالأحرى أخذني حنين هذه الذكرى إلى أن أبحث عن أثر لها و قد قطفتها بهذه الهمة وإني لأهديها إلى كل متفكر و لهان وإلى كل متذكر حيران وإلى كل متدبر آيات الله في كل حين وآن .

فإليك الآن ما عبرت عنه بعض هذه الزهور تحكي عن حال من أحوال الأحبة. إنما الحبيب من قلبه فائض بالأشواق إذا ذكره أنَّ و ربما تجاوز ذلك الى البكاء. إنَّما الحبيب من فر من سواه و التجأ اليه، من إذا رأى آية من آياته زادته معرفة به وحنينا إليه، إنما الحبيب من إذا لاحت له إشارة رقصت جوارحه طربًا بمفهوم العبارة و خشع قلبه لما دلت عليه من مقامات سنية.

وبينما هي تحكي و تفصح عن هذه الأسرار نطقت أخرى كواعظ يذكر: كم أعين تحسبها ناظرةوهي في الحقيقة عليها غشاوات، وكم آذان ليست بها عاهات ولكنها لا تسمع إلا أصواتًا شبيهة بنباح الكلاب و نهيق الحميرورنين الأجراس، وكم عقول لم تتجاوز حب الدنيا أتلفتها النزوات واستعبدتها الغرائز و الشهوات واأسفاه؛ مرَّ من هنا وكأنه لم يمر.

كيف لا تتذكر خالقك و قد كنت من قبل لا شئ كيف لا تشكره و تحمده وأنت في بحور أنعامه سابح ؟ كيف لا تبوء له بنعمه عليك وأنت مغموس في عين

كرمه،كيف تنساه؟ لم أدر وأنا أستمع إلى هذه الذكرى كيف جرت دموع من عيني و فاضت مشاعر من قلبي؛ ربما من رهبة أو من شوق نحو شروق هذه الأنوار. وأنا كذلك إذ انفلتت وردة من بين أصابعي لتقع عند قدمي فانحنيت لأعيدها إلى حيث كانت. تأملتها بين يدي فلاحظت تهشم بعض وريقاتها، ملكني حينها إحساس مشوب بالحسرة و الحنان في ذات الآن .

قالت: لا تهتم، قل لي ما بال قوم عمروا تعميرا وأكلوا و شربوا كثيرا ونالوا من الدنيا نصيبًا كبيرًا و لكن لم يتفكروا ولم يعتبروا بل ظلوا أسرى الملذات حتى أتاهم هادم اللذات فجأة حينذاك ندموا وتحسروا على ما فاتهم من بر وإحسان.

قل لي: هل تعلم ما عمل الشيطان؟

قلت في دهشة عارمة: شيء قليل.

قالت: غواية الناس وتضليلهم من يوم و لدوا إلى آخر ساعة من حياتهم، إنه مجند لذلك لا يهدأ له بال إلا بانضمام هؤلاء إلى حزبه، وإني لعليمة بشتى أنواع حيله و مصائده و كثرة تساقطها على بني آدم كتساقط الشهب على أجواء الأرض، هذا ما حفظته من كلامها.

حملت باقة الزهور وذهبت من هنا، قصدت جانب البحر لأرسل بصري نحو الأفق حتى أنظر بعيدًا بدون حواجز كما هو الحال في المدينة حيث المباني و الحيطان و الناس و ما هم عليه على الدوام من قيل و قال و خصام وما يضرهم ولا ينفعهم من أفعال.

كنت واقفًا أتامل جمال مناظر بحر المحيط و انعكاس أشعة الشمس على سطحه المديد وشدني من جهة الجنوب منظر يثير بريقًا يغشي العين فلا تستطيع الرؤية لكن جلال الموقف يلهمك شعورًا غريبًا رفيعة معانيه عزيزة دقائقه وقريب العبارة من عبرة أولهفة العاشق لطلائع أنواره البهية.التفت إلى وردة أبهى وأدق اعتدالا كأنها نبتت من تربة رياض الأنس و البهاءو سقيت بمياه العذوبة والصفاء، قالت بصوت رخيم مشيرة إلى حقائق دفينة طالما صرحت بها

لكن لم يشعر بها أحد بجوارها أين ذهب أمير قومه الذي كان بالأمس ينشد أغنية الحياة في فناء هذه الدار؟ لقد كان يمر بنا خلال تلك الأيام الخالية و هو يعزف و يترنم حتى إننا كنا نتمايل مع سماع تلك الأصوات التي تذكر بغلاوة نسمات المحبة و شيئ من مقامات الوجد و قبسات من أنوار القرب و في بعض الحالات كانت نغماته تقع على قلوبنا فنضطرب و نظل حيارى ولولا تلك الجذور وما لها وعلينا لانشقت أرضنا و سعينا وراءه من سحر بيانه و عذوبة ألحانه، ناهيك عمَّا تشير إليه عباراته من أسمى المعاني وألطف المجاني ومن روائع ما كان هذا الأمير يترنم به في حله و تجواله هذه الأشعار:

قد استولى على قلبي هواك ومالي في فؤادي من سواك

فلو قطعتني في الحب إربا لما حن الفؤاد إلى سواك

ومما حفظته عنه كذلك

أفناه عن حظه فيما ألم به فظل يبقيه في رسم ليبديه

ليأخذ الرسم عن رسم يكاشفه و السر يطفح عن حق يراعيه

وسمعناه أيضا يشدو وقد شرب من كأس الحب:

شربت الحب كأسًا بعد كاس فما نفد الشراب ولا رويت

عجبت لمن يقول ذكرت ربي فهل أنسى فأذكر ما نسيت

كانت الوردة تروي فصولا من قصة حياة شاب أفنى جُل شبابه في طلب محبوبه و كيف أنه لما قرب من طلائع أخباره انبهر مما رأى و سمع ؛ فلقد رأى جلالاً و جمالاً و نورًا و سمع أصواتًا لا كالأصوات. فهمت من هذه الأخبار أن الوردة الأمينة أخفت أو لم تسطع أن تفشي هذه الاسرار غيرة على مكانة هذا الشاب و قربه من الأحبة .

جلست هنالك قرب صخرة كبيرة، وضعت باقة الزهور أمامي وأرسلت بعض النظرات نحو الغروب مسترسلا نخبا من الأفكار حول ما يختلج في الخاطر من الاعتبار لعلي أنفذ بها إلى أعماق هذه البحار أو يرفع الستار عن جزء من تلك الأسرار. قلت: حجب مانعة لرؤية أنوار المعارف لا تزول إلا بالاغتسال بمياه الإخلاص و الإقلاع عن حب الدنيا و التوجه بسلام إلى حضرة المحبوب. قلت:

كم كثيرة الكم و الكيف النظرات التي نرسلها لكن دون قيمة لأنها تبقى في دائرة العمى لا ينفذ منها شيء إلى كنه حقيقة من حقائق العرفان.

بينما أنا أنهج هذه الطريقة في التدبر والافتكار إذ نادتني وردة أخرى يعجز اللسان عن وصفها قائلة: ماأعذب هذه الألحان! ماأطيب هذه الروائح! ما أجمل الصور التي أرى! ،هي مجالس بهاء فيها الأحبة والأخلاء فيها اصطفت المجالس من كل صنف و تباهت بلا فخر فيما بينها بما حازته من الأوصاف الفاتنة و المعارف الغالية و الأنوار الصافية، فما أزكى هذه الأنفاس و ما أنفس هذه الأحوال، فما ثمة زمان كزمانكم ولا مكان كمكانكم بل مقامات و أي مقامات.ها أنذا لوحت إليك بخبر يقين من شأن جليل، ما ثمة إلا حبيب أوخليل لو اطلعت خلسة فوقعت عيناك على عين و احدة ليس إلا ما طاب لك عيش بعدها أو سمعت ما لم تكن تسمع ما هدأ لك بال ما حييت و ربما وصفت بالجنون أو مت في الحال، وإن تعجب فعجب ما أنت فيه.

قلت: كم مرة وزنت نفسي فوجدتها أقل من وزن ريشة طائر صغير، قيل لي: أنتَ لا شيء، بل أنتَ الشيء كله،حسبت نفسي كقطرة من هذا المحيط أو كحبة رمل ملقاة على ساحله أو كذرة من هذا الكون، فما قيمة الإنسان إذا كان هذا وزنه؟ هل يلتفت إليه إذا كان شبه لا شيء؟! هي أسئلة كثيرة تبدو محيرة لكن الجواب بسيط، بمعنى أنه سهل العبارة واضح الإشارة جلي الإفادة، معناه أن الانسان قيمته تتجلى في إيمانه عن علم و دراية بأن الله سبحانه هو خالق هذا الكون و هذه الذرة و لا يسعني هنا ذكر ما يتعلق بهذا الإيمان من لطائف المعارف و معادن الأسرار، وباختصار قيمة الشخص تكمن في إيمانه؛ أي حسب

إيمانه تكون قيمته و من أزكى و أحلى ثمرات الإيمان طيب الأخلاق وحسنها. هنا أوقفتني زهرة يحتار ذو لب من وصفها بسبب كثرة محاسنها قائلة: ماسنام الحياة السعيدة؟ ما سروجودنا هنا؟ ماذا تريد؟ من أنت؟ و ما مصيرك؟ و كم تعيش؟

قالت أسئلة كثيرة اخترت منها ما حضرني عن تذكر، أردت أن أسالها عن أمور تخصني لكنني استحييت فاقتصرت بالسماع منها، قالت وكأنها تسأل وتجيب: سنام السعادة المنشودة محبة المولى و سر الوجود معرفته على قدر جوده سبحانه، فكل من اصطفاه يغترف من عينها ما يجود به عليه.

أما ماذا تفعل فأنت محظوظ بحظ عظيم كتبه لك بمحض اختياره، ولولا اختياره لما كان لك ارتقاء إليه، و لوتركك إلى ما تريد لأهلكت نفسك و أتلفتها و لكن سبقت إرادته إرادتك و شملتك رحمته وعنايته وأنت كما أنت نفس مطمئنة و روح طيبة، كذلك قضى لك سبحانه الخير فيما اختاره فاعبده واستقم حتى يأتيك اليقين،و اتبع سبيل الحبيب عليه أزكى صلاة وأكمل سلام تفلح، وإنك إذن لمن المفلحين الذين مصيرهم إلى رضاه عز شأنه وتعالى قدره و ما قدروا الله حق قدره.

ألقت إلي إجابات أخرى لا قبل لي بها حرت في فهمها، نفذت في خواطري بعض تجلياتها ونفثت في روعي واردات منها. اهتز لها كياني فلم أعد كما كنت ساكنا، و بعبارة أخرى أثَّر في كلامها و اضطربت بين نفي و إثبات وحيرة و ثبات حتى صرت لا أعير اهتماما لهذه الحياة لما لاح لي من همم الحياة الباقية.

مكثت على هذه الحال لا أحس خلاله بمرور أو بفوات الساعات، فلم أكن منتبها لهتافات العوارض و صرخات النزوات كأنني لست من هذه الأوطان. بينما أنا كذلك إذ نادتني قائلة بصوت رقيق يفيق النائم من سباته والغافل من خموله: جرعات الحب يسري رحيقها في النفس، ربما كما يسري السم الزعاف في الدم إلا أن السم يزهق النفس في الحين، بينما الحب رشفاته تصيب الفؤاد في الصميم فيذهب العقل إلا قليلا و تظل الروح سابحة بلا عنوان في بحر سواحله بعيدة، ما بين الساحلين كما بين السماء والأرض و أعماقه غائرة لا تتصور كم هي عميقة.

هذا والحب هاتف من هتافه ينادي هل من مزيد ولا يبالي بمن صرع من عشاقه و كأنه لا تسعه قلوب أوليائه و منهم من يرحمه شيئا فيجعله هائمًا لا يدري أين هو أو تائهًا لا يدري من هو، أما من تحرر من قيوده - وهم قليل- فتبقى آثاره واضحة عليه أينما توجه تلازمه كظله .خلاصة القول: هذا الحب يشبه النار الملتهبة كلما ألقيت فيها حطبًا زادت تهيجًا وقالت زدني أزدد، ولولا الأحبة ما كان للحب كيان، لكن مذاقه أعز من مذاق العسل يعجز الفكر عن إدراك لونه، أما اللسان فمهما تعددت ألفاظه لوصف أحواله يظل عند ظنونه فقط لا يتجاوز حدوده، كم من محب ضاق صدره بما لا يطاق، لم يجد طعما للنوم ولارغبة للأكل ولا ميلا للشهوات لم يجد ملجئًا فيها ليتخلص من قيود حبه فتاه في أوحال هيامه و ذهب ولم يعد إلى الآن.

قلت: هذا حب طرقه وعرة وهو والجحيم سيان.

قالت: إنك لم تحط بعد بما أخبرتك به عنه، لم تدرك إشاراتي و لا تنبيهاتي، سأضرب لك مثلا في هذا المعنى فاسمع: رأيت يومًا محبًّا جاثيًا على ركبتيه يبكي بكاءً تهتز له مشاعر النفس و يتفطر القلب لسماعه ولم يكن هذا الجريح بعيدًا مني، تمايلت رغمًا عني يمينًا و يسارً،ا وبدون أن أدري ناديته: هل لي أن أسالك عن سبب لحالك هذه؟ لم يسمعني أو لم يلتفت إلي؛ ربما شغله ما يكابده من الهوى و هواجسه عن سماعي أو أصمه حبه و أعماه حتى إنه لم يعد يسمع أو يرى شيئًا.

قلت: يا فتى ربما أنفعك في محنتك، قد أجد لك مخرجًا. كنت أحاول أن ألفت نظره إلى وجودي لأنني مكثت طويلا أناجي نفسي وحيدة في وحشتي، قد بتعد الأنس مني كبعد الشمس عند الغروب. قال الفتى وهو يئن أنينًا خافتًا كأن سهمًا أصابه في صدره واخترق ضلوعه: كيف وقد انشغل قلبي بذكره؟ .صمت قليلا ثم استأنف الحديث قائلا: لست في محنة كما أبدو لك.إذا رأيتني حقيقة قلت منحة أو نفحة من نفحات الشوق قد أعجز عن وصف ما أنا فيه، كل ما في الخاطر الآن هو شعوري بتقصيري في حبه، أأبوح لك بسر من تلك الأسرار؟ قلت وأنا

مندهشة مما سمعت: يا حبذا، قال: ربما أسكرتني شربة من أحد كؤوس محبته فجرت دموعي كما شاهدت استودعتك الله الذي لا تضيع عنده الودائع.قال هذا وانصرف و لم يترك لي جوابًا.واأسفاه على ما قال و ما لم يقل.

قالت: سمعت أن المحبة فتنة تقع في الفؤاد من المراد نارها محرقةوبلاؤها شديد،ورأيت إذا كان الدعاء مخ العبادة فالمحبة قلبها و لولا حلاوة العسل ما كان للعسل شأن، التفتت إلي بعد بيانها هذا قائلة: هل تفهم شيئًا عن الحب؟ قلت:لا يفهمه إلا من جربه، أجابتني: صدقت وقد خاب من عاش و لم يحب قلت: يا حبذا لو أحببت.

قالت: أنت تطمع فيما لا تستطيع عليه ولا تقوى عليه أنفاسك و لا يتحمله ظاهرك ولا باطنك.هل تسمعني؟

قلت: نعم .

قالت مستشهدة بقول أحد الشعراء :

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

سأحكي لك شيئا يشبه هذا وتعتبر منه اعتبارا: سمعت فتى في بداية شبابه يذكر فترة عصيبة من حياته لم يمرعليها إلا وقت قصير فتركت في نفسه جرحا عميقا، قال لي:

وقفت بشاطئ بحر من بحار الهموم فرأيت فيما رأيت أمواجًا تتلاطم بشدة تكاد تبلغ السحاب، خيل إلي مما لاحظته من الأهوال التي تطفو على سطحه أنه لا عيش رغيد أو ضرب من السعادة يمكن أن يعول عليه؛ بمعنى لا أمل يرجى هناك و لا أحد ينجو إذا خاضه. قلت له: هل تشرح لي ما تقصده؟ قال: كنت أسمع عن الحب الكثير لكن لا أعيره أي أهتمام و أحيانا أنتقص من قيم الشخص الذي يقع في شركه، ربما تجاوز الأمر بي إلى احتقاره أو الاستهزاء به.

كنت ألهو كثيرًا في بدايتي هنيئًا مريئًا...حتى صارت تربطني على حين غفلة

علاقة حب غريب بفتاة لا كالفتيات ذات خلق رفيع، كانت تمنحني من نفائس المشاعر ما يبتهج به قلبي و أجد لوجودي بالقرب منها ما يجلبني بقوة لهذه الحياة؛ بمعنى آخر كانت تحرص على خلق أسمى معاني الود و الأما ني في روحي كأنها ملاك أرسله الله تعالى ليشملني بعنايته الكريمة، فما أغلاها من روح! لاقيت من حبي لها ما يعجز النهى عن كشفه.لم يسعني إلا أن أستسلم لها وأبوء لها بتعلقي بها و علمت يقينًا أن شهودي بدونها لا شيء. صمت الفتى هنيهة ربما ليسترجع ويستجمع جزءًا من أنفاسه و شطرًا من ذكرياته.تابع حديثه قائلا: لم أخبرك عن أول لقاء، لم أحك لك عن أول نظرة، ظننت أن الدنيا كانت مظلمة فأشرقت فجأة. كنت غافلا فانتبهت، و نائمًا فصحوت وميتًا فبعثت، النظرة اخترقت الفؤاد فأيقظت همجته و استولت على الفكر فحركت خواطره و نفذت إلى أعماق نفسي، ففعلت هناك فعلتها التي أثارت مشاعرًا، لم أكن أعرفها قط، أما اللقاء فكان بداية لحياة جليلة الشأن عزيزة المنال.منذ ذلك الحين ارتبط قلبي و فكري بها ،صرت لا افكر في شيء أو يشغل بالي غيرها.

ظلت صورتها لا تفارقني كظلي.

قالت لي مرة: إني أتذكرك كل حين في يقظتي وأثناء غفوتي، يعذبني حبك وأجد لذلك عذوبة لم أجد لها مثيلا من قبل، أردت أن أفهم شيئًا مما يحدث لكن فعلته دون جدوى. لم تكن لي قدرة على مقاومة ما يجري.أحيانا أحس بنار تحرقني وأحيانا أخرى أشعر ببرد قارص يلفحني،إنني أشكو إليك ما فعله بي حبك وكيف تيَّمني.كنت فتى رقيق المشاعر لذا عندما أصغيت إليها أجهشت بالبكاء ففاضت عيناي بالدموع، وسترت وجهي بيدي فتبللت بقطراتها.

دنت مني وضمتني إليها، أحسست ببرودة أناملها ودفء جسدها، قلت لها:وأنا لمن أشكو؟وفي يوم من الأيام لم يكن في الحسبان توفيت، هناك توقف هذا الشاب عن الكلام و بدأ يمسح بعض العبرات التي سالت على خديه، قال بعد لحظات: اعذريني فأنا لا أقوى على الاستمرار، استأذن وتركني وذهب، لم يكن في وسعي إلا أن أدعو له.

قلت: كم هو أمر خطير أن يحب المرء من يحب ثم يضيع منه، قالت:أكيد، لكن حب الله أجل وأعظم و لولا محبته ما كان لهذا الوجود طعم لذيذ؛ فكل روح نبيلة فلكها دائر عليه تستمد منه نورهاوحياتها. إنني قصصت عليك من أحوال المحبين ندرة من الأخباروعندنا منها رياحين لو بحنا إليك بطرف منها ما طاب لك عيش أو استقر بك مقام هنا وإنني أحببت أن أطلعك على بدايانهسى أن تتذكر جزءًا من تلك المعالم الفاضلة فتطلبها، وأنشدت لي على لسان أحد الشعراء الأمجاد:

بدا لك سر طال عنك اكتتامه ولاح صباح كنت أنت ظلامه

فأنت حجاب القلب عن سر غيبه ولولاك لم يطبع عليك ختامه

فإن غبت عنه حل فيه وطنبت على منكب الكشف المصون خيامه

قلت لها كاشفًا عن سر من تلك الأسرار الدفينة: أنا كنز محله فوق السماوات والأرض، مقامه عزيز ومكنوناته لا تقدر.

قالت معترضة:كيف تجرؤ على قول هذا الكلام وأنت على هذه الحال؟ويحك هتكت سترًا، لولا محبتي لك وغلاوتك عندي لفضحتك، لا يحق لك قول هذا وأنت مثقل بذنوبك ملطخ بأوحالك مقيد بأفكارك وشهواتك، مفعم بنزواتك وأغراضك، ألهتك الحوادث وقطعتك الأسباب، ابتعدت حتى أشرفت على أجراف الرزايا، فلا تدَّع القرب وأنت لم تتخلص بعد من علائقك. كم من مدع ليس له مما زعم شيئًا مذكورًا إلا ما اقترفت يداه من الآثام، ظن أنه على حق جلي لكنه لما قام وألقى سمعه ونظره علم أن دعاويه كرماد انتثر، فلم يبق له أثر عض على أنامله حسرة على ما فاته من الحقائق فيها قلائد مرصعة بأنفس النفائس وخيرات حسان.

نهضت من مجلسي ذاك قرب الصخرة، تناولت باقة الزهور و مشيت قليلا دون أن أدري أين أتجه. تأثرت إلى حد بعيد بما سمعت، قالت زهرة من تلك الزهور: أين ستذهب بنا وبنفسك؟ إذا كنت تحب الحكمة فزهرتك التي

حاورتك قبلي عندها الخبر اليقين؛ إنها تقول لك تمهَّل ولا تعجل في أمرك، إن الذي أمامك لم يهيأ ليكون وراءك، قلت: تداعيتُن علي تردن اللعب بي لعب الصبيان بالكرة.

قالت الزهرة الحسناء: كيف تتهمنا بما لا يليق وقد امتدحتنا من قبل و قرت عيوننا به و الله شهيد على ما نقول؟! إذا تفضلت عرج بنا إلى تلك الحديقة عسى أن نكون فيها بأفضل حال، فلما طاب لنا المقام قلت: ما هذا العتاب؟

قالت: رويدك، غلبت علينا المشاهدات وأبهرتنا بعض التجليات لذا فجل ما تسمعه من كلام يخرج من هذه الأفواه على شكل نفحات لاعتاب فيها ولا تثريب فأحسن بنا ظنك عافاك الله.

قلت: أنا كذلك بتوفيق منه سبحانه، إنما كنت أباسطكن فاعذرنني؛ إن البسط إذا حضرني ألقى علي أجنحته فتغمرني فوائح له ولا أبرح حتى يولي.

قالت: صفه لنا إن كنت صادقًا.

قلت: البسط حالة تقع للنفس بسبب زوال ما تنفر منه أوبنوال مراد، وهو يقع كالطائر الجميل الصورة، الطيب الرائحة عندما يشدو بأعذب الألحان، والبسط أوصافه يغلب عليها الأمل و الفرح، إذا زاد كان فيه مرح.

قالت: نعم، كلامك قريب مما عندنا.

قلت: حدثيني عنه من فضلك.

قالت.البسط وارد يرد على منزل الخواطر فيثير فيه ارتياحًا و انبساطًا وينقل إليه بهجات ويسدل الستار على عقبات، وهو من نفحات الألطاف، يقع في القلب فيسري

في الدم طيفه وغالبًا ما ينطلق اللسان بعبارات مليحة، و أحيانا بإشارات نبيلة ومثله كمثل غيث خفيف أصاب أرضًا رطبة فاهتزت وربت، والكلام عن البسط بسط. اقتطفت لك منه ما تيسر.

قلت: إذا تفضلت فما ضده؟

قالت: يقال إن القبض هو ضده، و يظهر عند حدوث أمر طارئ يقلق النفس و يعكر صفوتها يدخل الهم إلى القلب و يضطرب الفكر ولا يزول إلا بزوال أسبابه، مثله كمثل باب يطل على فضاء فسيح فيه خضرة ومحاسن، فصد بغتة فماذا تعرف عنه؟

قلت: هو حالة على إثرها تنكمش النفس لتضيق بما أحاط بها من تشويش وأصابها من مكروه وتتمنى لو أن هذه السحب تمربسرعة ليعود الصفاء إلى سمائها، وفي كل

الأحوال يجدر بالمرء أن لا ينسى قدرة الله تعالى ولطف صنيعه بعباده، فهو وحده القادرعلى قلب الوجوه ونسخ أوراق القدر من حين إلى آخر على حسب ما يصعد إليه من العمل الصالح والكلم الطيب، وفي هذه الحالة يلتجئ المؤمن الى مولاه فيكثر من الدعاء ومن يجيب المضطر إذا دعاه.و القبض لونه كلون الحزن أو الكآبة و يبلغ أشده إذا كان ناتجًا عن مصيبة كبيرة. والكلام عنه يطول، أخبرتك الآن بما يكفي.

قالت.نعم القبض مقرون بالخوف أما البسط فله ارتباط قوي بالرجاء والأمل، فلا تنخدع بانبساط البسط ولا تمكث مغلولا بانقباض القبض. اسحب نفسك إلى مواطن الأمان حيث المحبة و السلام .

سألتها حين ذلك عن مراتب المحبة إن هي وجدت.

قالت: عدنا إلى مركز الدائرة أو نقطة البدء، سؤالك هذا مثيرو مدهش ورغم ذلك سنصلك بقطوف منه ؛ قيل للمحبة درجات في بداياتها نجد مقامي الانشغال والوفاق و نجد في أواسطها مقامات المشاهدة والعشق و الهيام و أعلاها الفناء.

قلت: فما الوفاق؟

قالت: أن توافقه إذا قال لك اتبعني تتبعه،وإذا قال لك لا تسألني حتى أخبرك

فلا تسأله وإذا قال لك امكث هاهنا حتى آتيك فلا تغادر، هذه موافقة فمارأيك بالوفاق؟ إنه يزيد عليها بكثير وهو طاعة من نوع خاص ممزوجة بجذب.

قلت: كيف؟

قالت: يعني بانجذاب القلب و ميله إلى محبوبه وهذه من بدايات المحبة كما قلت لك، إن المحب يترقى من درجة إلى درجة أخرى بسبب ما يتلقاه من الهامات في هذا الشأن.

قلت:إذن المحب عبد مملوك.

انعطفت شيئا كأنها تمازحني ثم قالت: بل هو مالك يعجز اللسان عن وصف ما يملكه من بين أوصافه نور ينبعث من وجهه يقول لا نفاق ولا شقاق.

قلت خجلا: وماذا بعد الوفاق؟

قالت: الشوق فماذا غيره؟

قلت:فما معناه؟

قالت: له عدة معاني أحدها هيجان الفؤاد واضطراب النفس وإذا حدث اللقاء الأول وهو دون اللقاء الآخر طار الفؤاد فرحًا واطمأنت النفس بقرب المحبوب، ومن معانيه أيضًا انشغال الفكر بصفات للمحبوب و تمني لقائه هذا باستمرار، بشغف عظيم وتصطلم نار الشوق في القلب ولا تهدأ إلا عند اللقاء و رب نظرة واحدة إن لم يكن لها استعداد تنهي هذا الأمروتفقد المشتاق روحه.

الشوق أنواع على حسب دراية ومعرفة المشتاق بمن يحب و كلما زاد حبه زاد شوقه فماذا تعرف أنت عنه؟

أجبتها قائلا:كيف لي أن أجرؤ على بسط الكلام في هذا الموضوع..أو أن أقارن ما عندي بما عندكن، بضاعتي في هذا المعنى قليلة جدًّا.

قالت: لا عليك، قل.

قلت: إني أشكو قسوة قلبي من أمد بعيد، محبة ضعيفة و اشتياق ضئيل. ما زلت أبحث عن مصدر هذه الأنوار منذ أن وعيت وكلما تقدمت زادت المسافة بعدًا.

قالت:من علامات المحبة تذكر المحبوب والبحث عنه، إنني،أرى إشاراتها كامنة في باطنك مثلما أرى لوامع ماسة ملقاة في عين مياهها صافية، أنت محب بحق فهل تشرح لنا غوامضها.

قلت: الشوق إحدى مقامات المحبين وهو شبيه بانجذاب القلب إلى بعض لآلئ المحبوب التي تملكه عند هجوم أنوارها عليه، والمشتاق لا يكتفي بالانتظار بل يتخطى حدوده ليقف على مشارف الأخبار ليعلم متى يكون قدوم المحبوب فهو كثيرالالتفات إلى المطالع البهية شديد الطلب من أجل النظر. هذا ما عندي الآن من أنبائها فمعذرة إن كنت قد أسأت الأدب.

قالت: كلام جميل أفلا أسمعتنا مزيدًا منه؟

قلت: الشوق مقام رفيع لا يبلغه إلا المحظوظون، ضياؤه يعمي من شدة توهجه ومذاقه حلو مسكر، من شرب منه شربة شد في الحين الرحال و عزم على الأسفار، و لم يعد له مقام. فواشوقاه.

قالت: أحسنت الشوق من هذا القبيل .نشكرك على تعليقاتك التي أطربتنا معانيها.

قلت: عفوًا، فماذا عن المقام التالي؟

قالت: تعني الوجد. هو ثمرة من ثمرات المحبة، يرد على القلب عند سماعه لألحان الكلام و نغماته وشهوده لمفاتن بعض صفاته و دررها أو ألقى السمع وهو شهيد.

تواجد المحب يأتي زلفى من قبل المحبوب؛ أحيانًا على شكل نسمات فوائحها أطيب من ريح المسك وأحيانًا أخرى على شكل رسائل يعجز المرء عن إدراك

فواها لتبقى أسرارًا مصونة في قلوب المحبين. وقالوا إن الوجد حالة ناتجة عن حلول الأحزان بالقلوب جرَّاء ما سكن فيها من خطوب.

قلت: كنت قد سألتك عن الوفاق ونسيت الانشغال فما هو؟

قالت: هو أيضا اضطراب الفكر واهتزاز النفس للحدث الجلل الذي وقع، فلا وجهة ثمة إلا وجهة المحبوب و لا أخبار هناك سوى أخباره، جل اهتمامه انشغاله بشؤونه وأوصافه، ماهي وكيف هي، هذه مع أمور أخرى تأخذ بلبّه يتقيد بها وتقيده حتى لا يستطيع الخروج من اعتقاده؛ فالمشغول مفتون لايكاد يفترعن ذكر محبوبه ساعة .

قلت: الانشغال إذن قيد في عنق صاحبه.

قالت:لا، إنما هو قلادة نفيسة معلقة حوله تصل سابقه بلاحقه ولولاه ما كان للحب قيمة.

قلت: وماذا بعد الوجد؟

قالت:الوله.

قلت مستغربًا: وماهو؟

قالت: إذا رأيت الولهان أبكتك حاله؛ إذا رأيته قلت هذا ليس من هذه الدنيا. ربماترثي لحاله أو ربما تغبطه، والوله نوع من السكر بسبب ما تجرعه صاحبه من خمر المحبة التي من شرب منها تحلت روحه وخفت نفسه وغاب عن رؤية الأغيار، لذا الولهان ليس هاهنا بمعنى يترقى إلى منزلة عزيزة لا يدركها إلا ذو حظ عظيم وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، ولسان حال الولهان يقول: يا لوعتي في محبتك الولهان لا يفيق من نشوة ولهه حتى يرش عليه من مياه عين المحبة وإذا صحا أحب أن يعود إلى ما كان عليه، فهو بين السكرو الصحو متقلب.

لايستحسن أن أثقل سمعك بمثل هذا الكلام ربما تمل أو يضيق به صدرك، لذا سنتوقف عند ظلال شجرة الوله لنرتاح من عناء هذا السفر.

قلت: بالعكس؛ كلامك يؤثر في كما يحدث للأرض اليابسة أثناء وقوع القطرعلى بساطها.

قالت: الحديث عن شعب المحبة شيق لا يتذوق حلاوته و يدرك مكانته إلا محب.

اختلفت مشارب المحبين فمنهم من شرب قطرات فكفته؛ نسي الدنيا وما حوته من الخضرة و الجمال، ومنهم من داوم على الشرب إلى أن غاب عن نفسه فأشرقت عليه شمس المعارف فعلم ما لم يكن يعلم.

قلت: كيف يغيب المحب عن نفسه.

قالت: تراه في البداية يكثر من قول فداك نفسي و عندما يتحقق حبه بنسبة أو بأخرى تبطل أنانيته و تتلاشى رويدًا رويدا؛ فالمرء إذا أحب نفسه وتعلق بأنانيته امتلكته الغفلات ولا أظنه يفيق من نومه إلا إذا أصابته رحمة، لذا فالمحب غائب عن نفسه حاضر بمحبوبه. هل فهمت قصدي؟

قلت: نعم، وبعد الوله؟

قالت: نرى التيه بعده.

قلت مستفهمًا: كيف؟

قالت: عندما يستشعر المحب ما يجده و يستعذب ما يفد عليه يحلق قلبه ويتيه، يعتزل ويهجر الناس و الدنيا. دليله إني مهاجر إليه. هل فهمت المعنى؟

قلت: أكيد، وبعد التيه؟

قالت: المناجاة والتغني بإشارات تعود لأسماء وصفات تخص المحبوب، المناجاة ابتهالات أما التغني فهو كلام ملحون على أوزان تنكسر لها القلوب، وتدمع على وقعها العيون وتضمحل بسماعها نزوات النفس فلا يبقى معها كدر أو هاجس، و كل وزن منها يحط قيدًا و يفتح بابًا.

قلت:ثم ماذا؟

قالت: أظنه نسيان الذات.

قلت: و ما هو؟

قالت: إن الحب ينقش في القلب صورًا يصعب تأويلها، عندما يطلع عليه نورمن أنوار الرضا تتضح الرؤية فيذهل المحب و ينسى ذاته و تنحل رسومه بحلول رسوم لمحبوبه.

قلت: ماذا يرى في هذا المقام؟

قالت؟ سنضرب لك مثلًا؛ قد يتجلى لك نور فيذوب قلبك هيبة أو يبدو لك سر يصعب تحمله فيغشى عليك ولا ينبغي لك أن تفشيه بعد ذلك لأنه مخصوص بك وبمحبوبك فقط، مكتوب على إحدى صفحاته..فمن أفشاني أتبعه شهاب رماأحرق فؤاده .

قلت: ثم ماذا بعد هذا النسيان؟

قالت: مراتب أخرى يطول شرحها، ثم تأتي مرتبة المشاهدة قيل: المشاهدة هي المعاينة لكن في ديوان المحبة غير ذلك؛ لأن النظر وحده قاصر لا يكفي و لا يفي بالمقصود، وقيل: المشاهدة هي رؤية آيات وتجليات له و سماع لوقع آثارله وهذا المعنى قريب، وقيل: المشاهدة هي مكاشفة المحبوب لبعض إشاراته وإزالة ستر كثيفة عن أسرار عزيزة محلها القلب، وهذا المعنى أقرب.

قلت: أية أسرار؟

قالت: إذا تحليت بالصدق والأمانة والإخلاص سترى ما لا عين رأت وتسمع ما لا أذن سمعت، فتسقى من ماء مصفى، من ذاقها لم يمت قلبه. ولكل محب مشاهداته حسب درجات قربه من محبوبه، قلت: أللقرب درجات؟

قالت: هذا مقام جليل سنخصص له توضيحًا لاحقًا، فذكرنا به إن نحن نسينا. قد اخترت لك من معاني المشاهدة ما قل ودل، عسى أن تجني من أغصانهاما

سيطيب لك و تقر به عينك.

قلت: أكثرت عليك من الأسئلة، فلا تؤاخذيني على فضولي .

أجابتني بصوت خفي: أنت كثير الاهتمام بهذه المعارف، قصدك نبيل وقلبك تفوح منه روائح زكية و تغمره أنوار بهية. اسأل عما بدا لك نعطك منه خبرًا.

قلت: أخبريني عن العشق ما هو.

قالت: العشق عينه عين جارية من اغترف منها وشرب عرف وشينه شعلة المحبة التي يستضاء بها ولها شأن وأي شأن، وقافه قرة العين وهو خاتم العشق الذي به يعرف. والعشق نسبته من المحبة كنسبة الرؤية من العين، أما حده فهو حال تطرأ على المحب تغمر قلبه وتتلبس بروحه وتمتلك كيانه، و سببه قوة حبه وما ظهر له من جلال المحبوب ومحاسنه وقيل: إن العشق هو لب المحبة ومركزها الذي تسبح حوله أفلاك العواطف ومراكب اللطائف ولا تستصيغه الأفهام لدقة معناه.

قلت: فما الهيام؟

قالت: أنت لا تشبع من سماع الإمتاع و الاطلاع على سير المحبين، ولكن سأطلعك عليه بنبأ جلي، الهيام أيضا ثمرة من ثمرات المحبة وهو ألطف من التيه وأرق من الوله،وهو ملاك المحبة له أجنحة تتطاير منها روائح المسك و العطر، فتراه يطير بقلوب المحبين إلى حضرة المحبوب في موكب قدسي يحار الفهم في هيئته لبهاء دُرره، وإذا علمت هذا فكيف تركن إلى الدنيا وتميل إلى خسيس شهواتها وذلة نزواتها؟قلت وأنا عاض على سبابتي اليمنى: كم أنا متحسر على ما فاتني من الخيرات، سأبكي حزنًا على نفسي لعل بكائي يغسل شيئًا من خطاياي، وأستأنس بقول ربي في محكم التنزيل:

«نبئ عبادي أني انا الغفور الرحيم».الحجر(٩٤)

قالت متمثلة بقول أحد الشعراء

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

إياك أن تدعي المحبة وأنت غافل بالعلائق عن اللآلئ.

قلت : سأنزع عني لباس العناد وسرابيل الهوى.

قالت: وتحل بثياب الرضى ورداء التقوى خير ثم أقبل و أنشدت على لسان أحدهم:

مازلت دهرًا للقلى متعرضا ولطالما قد كنت عنا معرضا

جانبتنا دهرًا فلما لم تجد عوضا سوانا صرت تبكي ما مضى

لوكنت لازمت الوقوف ببابنا للبست من إحساننا خلع الرضى

قلت: هذا كلام عذب فرات، وهو عبرة للذين يدعون المحبةو هم في أحضان الدنيا يلعبون.

قالت: نعم، وهل تعرف ما هي خلع الرضى؟

قلت: ربما هي أن يصير مرادك تابعًا لمراده واختيارك تبعًا لاختياره.

قالت: نعم، وإن أصابك مكروه أو بلاء زادك يقينًا بصدق محبته لك وسرورًا بمعاملته لك.

قلت: وما مكانة الغرام وما هو؟

قالت: الغرام من مقامات المحبة الوسطى كالوجد، وهو حالة تهيمن على القلب وترسم فيه صفات للمحبوب فيجزع ويميل كل الميل نحو المراد وإنَّ في ميله لعجب يحير الأفهام ويدهش ذوي الألباب؛ من تسنى له مواكبة عاشق من هذاالطراز غشي عليه وجدًا، أو هام على وجهه متغنيًا بأجود الألحان أو أذهلته عبراته وأتلفته عباراته إلا إذا لم يكن له قلب يحيا به أو سمع يسمع به.

الغرام قرين العشق وليس هو كما قال أحدهم فيه:

والعشق يجتذب النفوس إلى الردى بالطبع واحسدي لمن لم يعشق

أو كما قال آخر:

وكان ابتداء الذي بي مجـونا فلمَّا تمكن أمسى جنونا

وكنـــت أظـن الهوى هينا فلاقيت منه عذابا مهينا

وليس حبيبنا هذا كالذي قيل فيه:

ظل من فـرط حبـه مملوكا ولقد كان قبل ذلك مليكا

بل على عكس ذلك كما أوضحته لك من قبل؛ المحب مالك يملك بمحبوبه ما لا يخطر على بال.

نحن الزهور كنا في البداية لا نعرف، فلما بدا لنا أحببناه وكنا لا نهتدي، فلما تجلى اهتدينا.

قلت: قد ذكرت أن الفناء في المحبوب هو ذروة المحبة فما معناه؟

انعطفت شيئًا في يدي وقالت: آه، كم هوعزيز هذا المقام! هو مقام الوصول. قيل عنه الكثير، قالوا: إن الفناء هو التخلي كليًا عن رغبات النفس؛ أي حظه إسقاط الحظوظ والتحلي بأوصاف للمحبوب وقالت طائفة لها باع في هذه المعارف:الفناء هو إخلاء وجودك من هذا الوجود وعدم رؤيتك لأفعالك وتخليك عن كل ما تملك لمن يملك، والفناء في المحبوب غير هذا وذاك .

قلت: كيف؟

قالت: إنه ليعز علينا أن نفشي من مكنوناته، في الحقيقة ليس عندنا إلا ما تواصينا بكتمانه ولن نبوح بما يعنيه لمن لا يغنيه.

قلت متحيرًا: لماذا؟

قالت: هذه الحقائق من الأسرار الخفية، ولا يحسن إفشاؤها؛ قد تضر السائل ضررًا بليغًا، ولكن أقول لك: اتبع أثره يطلعك على ما لم يكن في خلدك، اتبعه واصبر تعرف، وسترى بعد ذلك.

قلت: وددت لو تطلعينني على حال من أحوال المحب في هذا المقام الشريف، لقد أخذ بمجامع قلبي ما ألقيت به إلي من مكاشفات، يا حبذا لو أعطيتني إشارة أو أتحت لي فرصة.

قالت: كم أنت ملحاح، قل لي ما معنى قوله سبحانه: «يعبدونني لا يشركون بي شيئا»؟- سورة النور الآية ٥٥

قلت: يحبونه بإخلاص والله أعلم.

قالت:إنه ذاك وتلك إشارة إلى ما لوحت به إليك من قبل. اعلم أن الفناء في المحبوب مثله كمثل قطعة من سكر صب عليها ما يناسبها من ماء زلال فذاب فيه ولم تعد تراه؛ فإنك لا ترى إلا ماء لقصور الرؤية لكنك إذا ذقته ألفيته حلوا. وهو ذروة المحبة كما قلت لك، ليس بعده قرب أقرب مما هو عليه.

ماذا أقول لك، صفاء ونور، جمال وإشراق، مواصفات تفوق مدارك هذه العقول،أريج عابق إذا استنشقته غبت و نسيم فائق إذا تخللك تهت.

إذن فلا ينبغي لأهل المحبة أن يظلوا سكارى في فناء مقام الشوق، كما لا ينبغي لهم أن يمكثوا مترددين عند عتبة العشق، لو يعلم المحب قرب محبوبه منه لطار فؤاده إليه. قال الشاعر:

بفضلك زدني منك قربا وأدنني إليك دنوا لا يغيره الدهر

وقال آخر:

أفنيتني بك عني يا غاية المتمني

أدنيتني منك حتى ظننت أنك أني

وقد يظن بعض الناس أن هذا الكلام ضرب من الشطح ينطوي على قدر من الكفر، ولو أنه ذاق لأقلع عن ظنونه واعتذر لأهل الهوى، وقد صدق من قال: إذا لم تصل يدك القصيرة إلى الثمرة الحلوة يقول لسانك الطويل إنها مرة.

قلت: أنت تقربيني من فهم بعض معاني هذا المقام رغم أنك قلت إنه سر من الأسرار، قالت: على مهلك أتظن أننا سنكشف لك عن حجبه، ونرفع لك بعضًا من ستره؟

نقسم لك بمحبتنا لك أنه لو كشفنا لك عن حقيقة من هذه الحقائق لانتقلت مما أنت عليه الآن إلى أحوال قد تضل في شعابها لا محالة، ولأننا نحبك فإنا لا نود فقدك بل نود إسعاءك ما ستجد فيه إن شاء الله بغيتك. أنصت إلى قول القائل:

ألاحظه في كل شيء رأيته وأدعوه سرًّا بالمنى فيجيب
ملأت به سمعي وقلبي وناظري وكلي وأجزائي فأين يغيب؟

وأرهف السمع إلى قول الآخر:

ألا أيها الوادي الذي فاح طيبه عسى لك عهد من سعاد قريب
وحييت من واد بكل تحية لأنك من أجل الحبيب حبيب

و ذق حلاوة ذلك في هذا الرضاب اللفظي:

غابت رسوم شواهدي لما رأيت خيامهم
وفنيت عن بشريتي لما سمعت كلامهم
وعدمت رسم حقيقتي لما شربت مدامهم

قل لي ما قولك في قول القائل:

روحه روحي وروحي روحه إن يشأ شئت وإن شئت يشأ

قلت: هذا حال من غاب بمحبوبه عمن سواه.

قالت: صدقت، وحسبك ما قلت إلا أن كثيرًا من الناس يعتبرونه من باب الحلول،ويصنفون قائله مع أمثال الحسين بن منصور الحلاج رحمه الله.

قلت: جل الناس يأخذون الأقوال من أذيالها مقلوبة ولا يدركون ما ترمي إليه. يحرفون المعاني ويوقدون نارالفتنة معتقدين نصرة عقائدهم و لا يبالون بمن سيقع في الفتنة من العامة أو الخاصة على السواء.

قالت: نعم اكتفوا بظاهر القول فغابت عنهم جواهره، ذرهم و قل لنا ما رأيك في قول الحسين:

مزجت روحك في روحي كما تمزج الخمرة بالماء الزلال

فإذا مسك شيء مسني فإذا أنت أنا في كل حال

أطرقت رأسي حياءًا من التعليق على قوله وقلت بعد تأنٍّ: إن الحسين شرب من عين المحبة حتى إذا صار مغمورًا في حالة السكر قال ما قال، مثل هذا الكلام يطوى ويحفظ في أيادٍ أمينة.

قالت: أنت تدافع عنه، لكن ما رأيك في قوله: أيها الناس أغيثوني من الله؟ فإنه اختطفني منه وليس يردني إلي أو علي كما قال، ولا أطيق مراعاة تلك الحضرة وأخاف الهجران فأكون غائبًا محرومًا..والويل لمن يغيب بعد الحضور

وقوله: بيني وبينك أنّي يزاحمني فارفع بذاتك أني من البين

وقوله :اعلموا أن الله تعالى أباح لكم دمي فاقتلوني..ليس في الدنيا للمسلمين شغل أهم من قتلي.

وقوله:لكن ليس يستتر عني لحظة فأستريح حتى استهلكت ناسوتيتي في لاهوتيته وتلاشت في أنوار ذاته فلا عين لي ولا أثر ولا وجه ولا خبر، من أخبار الحلاج لابن الساعي البغدادي وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي وديوان الحلاج

قلت: الحلاج رحمه الله لم يطق الكتمان فقد توافدت عليه أسرار إلهية تترى ولم يراع اهتمامًا لنصائح الأحباب بعدم البوح بها ورأى ما لم يروا وتاه.

لم يصبرعلى تحمل ثقلها في قلبه ولم يصبر على البعدوأحب في الختام أن يلقى مولاه بتلك الطريقة وأن لله في خلقه شؤون.

قالت: لقد أساؤوا إليه وافتروا عليه كذبًا وهذه عاقبة من أحب وشهر بحبه.

يبقى الحلاج مع ذلك شهيد المحبين خالدًا في ذاكرة كل محب.

قل لنا هل لك أن تحكي تجربة عشتها وكان لها أثر في نفسك؟

قلت: سأقص عليكن قصة وقفت على أحداثها وكنت واحدًا من شخصياتها فاسمعني إذن.

قالت: كلنا آذان منصتة.

قلت: طار بي الشوق يومًا إلى رياض الأنس، وجدت بجانب عين من عيونه نحلة تريد رشفات من الماء،كنت على غصن شجرة هناك ترمي بظلالها فوق العين، كنت أقفز من غصن إلى آخر متدرجًا في النزول، كان غرضي الاقتراب من النحلة لأرى جليًا شكلها وكيف سترد الماء لكن لما أحست بوجودي ابتعدت، تراجعت انا الآخر شيئًا فشيئًا لعلها تعود، تساءلت من أين أتت مع العلم أن رياض الأنس هذا بعيد كل البعد عن عروش النحل، بينما أنا منشغل بمثل هذه التساؤلات إذ سألتني فجأة: يا فتى من أين أتيت أنت؟

استغربت من شيئين؛ منطقها الذي نطقت به وعلمها بأصلي، وأجبتها: أتيت من موطن الغفلات، في الحقيقة سنحت لي فرصة فتخفيت عن الأعين، وبعد ذلك نمت رغمًا عنّي فلما استيقظت وجدتني عصفورًا خفيف الظل.

حلقت بعيدًا واستمررت على هذا النحو إلى أن لاحت لي بوارق من تحتي فعولت على النزول فهذا حالي و السلام، لما اطمأنت على نفسها مني انتفضت انتفاضة تطاير على إثرها رشاش من الماء، وأصبت بقطرات منه بللت ريش صدري، لقد انقلبت النحلة بغتة الى صورة لم ترعيني أجمل منها؛ فتاة فاتنة كأنها قدت من فضة مصقولة، آية في الجمال.

حجة على من أنكر وبينة لمن افتكر.

سألتني: أأنت من الإنس أم من الجن؟ قلت: بل من الإنس و أنتَ؟ جلست على جذع شجرة ثم أجابتني: أنا من الجن، جئت من مكان قصي من بلاد فارس أبحث عن رحيق لبعض الزهور النادرة وقد قصدت هذا الرياض النائي عسى أن أجد ما أبحث عنه.

تأملتها شيئًا فعلمت أنها حزينة، رأيت ملامح الكآبة مرتسمة على محياها ومع ذلك لم ينقص ذلك من حسنها، سألتها: ولمَ هذا الرحيق؟

أجابت: قيل إنه ترياق لمرض عضال، ولكن قل لي من أنت؟

قلت لها: أنا لا شيء؛ أحيانًا أرى نفسي من الأموات لا أملك لنفسي شيئًا؛ لاسهم لي،ولاصلةلي بحقيقة من الحقائق، وأحيانًاأخرى أظنني كالحيوان الذي لا يعيش إلا من أجل لقمة طعام أو شربة ماء و كثيرًا ما أسال نفسي من أكون أنا؟لبثت ردحًا من الزمن لا أعي شيئًا مثل المغمى عليه ثم صرت غريقًا يطلب النجدة. توغلت في الأوحال من رأسي إلى قدمي وطال وقتي على هذه الحال حتى أنني يئست من أي أمل وضاقت حيلتي و خمدت قدرتي ورغباتي وانهدم كل بناء كنت قد أشرفت على إنشائه، مددت يدي ولم يبق لي سواهما لالتماس النجاة.

وفجأة حدث ما لم يخطر على بالي؛ كنت معدوما لا أثر لي فصار لي شأن، هذه بدايتي وأدعى نور من بني آدم الذين أصابتهم قطرة من رحمته.

قالت: اسمي آية وأبي ملك من الملوك الكبار الذين ذاع صيتهم في البلاد بما عرفوا به من حسن التدبير والانجازات العظيمة. هنا حضرتني القولة المشهورة (كل فتاة بأبيها معجبة). قالت وقد عمر أكثر من ألف وستمائة سنة وهو لايزال حيًّا في حالة يرثى لها، ملك البلاد بعد أبيه في سن المائتين، أحبته الجنة لحسن سيرته وعدله وحبه للخير وبعد ألف سنة من حكمه ابتلي بمرض في نفسه أرغمه على العزلة وأعيا الأطباء من معرفته ويئس الأحباب من شفائه، جئناه بكل طبيب مشهور وبكل راقٍ موهوب، لكن بدون جدوى. عاينا الصعاب وقاسينا

آلامًاوذات يوم وفد علينا حكيم ذو علم وافر و خلق رفيع. لما دخل على أبي نظر إليه نظرة ثاقبة نفذت إلى أعماق نفسه فارتعش أبي فزعًا وصاح صيحة اهتزت لها أعمدة البلاط، إذ ذاك أدرك الحكيم سبب علة أبي. قلنا له: هل من أمل يا حكيم ؟

قال: الداء خطير والدواء صعب المنال، لكن إذا التجأتم إليه سبحانه وتوكلتم عليه وعملتم بنصيحتي يكون خيرًا إن شاء الله تعالى، قلنا له: هل داؤه معلوم؟قال ملككم أُصيب في فؤاده بسهم مسموم سمه اختلط بدمه فملك منه كل عضومن أعضائه حتى عقله عقله، قلنا: من فضلك اشرح لنا قولك، قال: لدغته حية سمها من أخطر السموم كما قال الشاعر:

من لدغت الحية الرقطاء بدنه فلن ينفعه أي دواء نقي حر

والسكر مهما كان حلو المذاق فلن يشفي كالدواء المر

قلنا: كيف؟ قال: لأن سمها لا يقتل في الحين بل يضيق الملدوغ شتى أنواع العذاب ما بقي فهو في الهواجس والآلام حتى حين، قلنا: يا حكيم لم نفقه مما قلت شيئًا

قال: أبوكم أُصيب بنظرة فاشتغل فكره بما لا يطاق وهو الآن يكابد من حرها وبردها الشدائد، إن التي لفحته ذهبت ولم تولِّ الأدبار وقد سألت عنها الأعوان فلم يقفوا لها على أخبار، سألنا الحكيم عن وصفة الدواء الذي وعدنا به فقال عليكم بالسفر إلى جهة الشمال حيث يوجد رياض الأنس، إن به قلة من الزهورالتي فيها شفاء لملككم، استفسرمنه الوزير برهام وهو من أعز وزراء أبي وأرشدهم:

أين رياض الأنس هذا و كيف لهذه الزهور أن تشفي؟ تبسم الحكيم ابتسامة عارف وأجابه قائلا: لا تيأس يا مشير فإن بعد العسر يسرا، أما رياض الأنس فيوجد عند أقصى مشارق الأرض حيث مطلع الشمس، وتوجد به زهور مختلفة الأشكال والألوان وكل صنف منها خلق لحكمة وكل زهرة منه تنادي ولا يسمع

نداءها من الأنس والجن إلا محظوظ، فانظروا أيكم المحظوظ. ابعثوا به رسولا إلى تلك الجهات يأتِكم برحيقها و ليرافقه أحدكم لئلا يقع أثناء السفر في مكروه، وقد وقع علي الاختيار للقيام بهذه المهمة.

قلت: عجيب ما حدث لأبيك، أسال الله تعالى أن يوفقك في الحصول على هذا الدواء.قالت: آمين وطلبت مني هل في استطاعتي مساعدتها؟ أجبتها: صفي لي هذه الزهرة، قالت: هي زهراء زرقاء اللون متوسطة الطول، إذا وقع بصرك عليها عرفتها وربما نادتك باسمك، قلت: وكيف لها أن تعرفني وأنا على حالتي هذه طائر محبوس وصغير؟ قالت: ألم تزعم أنك محاط بعناية من الله سبحانه؟

قلت: ذاك ظني به سبحانه وعسى ربي أن يتقبل مني ويغفر لي ذنبي ويرضى عني.

قالت: ولمَ لا وهو الرحمان، سبقت رحمته غضبه وهو الرحيم يهب لمن يشاء من المنن ما يسعد النفوس، وتسر به الأرواح. ثم قالت: اذهب أنت من هنا وأنامن هناك وأشارت إلى جهتين متقابلتين الأولى شرقية والثانية غربية.

طرت من ساعتي و كنت أحط على كل شجرة عالية، أطيل النظرفي من حولي؛ عسى أن يقع بصري على ما أبحث عنه .تكرر فعلي هذا مرارًا حتى يئست وتعبت وفجأة رأيت عينا بعيدة يلمع ماؤها بسبب انعكاس أشعة الشمس عليها قصدت المكان فرأيته خلابًا كأنه جنة، شربت وارتويت فبينما أنا أزقزق وأغرد لأروح عن نفسي إذ سمعت صوتًا ذا نغمة جذابة يخرج من بين تلك الأعشاب الموسومة بأزكى الألوان يقول: سبحانك ربنا ما أعظم شأنك، زدنا تشوقًا لتجليات آياتك وتطلعًا لخفايا ألطافك؛ لنحظى بنصيب من معرفتك.

قفزت من موضعي ذاك نحو مصدر الصوت كانجذاب حديدة من مغناطيس انبهرت مما رأيت؛ زهور زرقاء يأخذ حسنها بالألباب،وبعد السلام نادتني إحداها؛كيف وصلت؟أجبتها بذل وانكسار: تصريف من الحق ولطف منه سحبني إلى دياركم.

قالت: الله أكبر وسألتني أخرى: ومن تكون؟ قلت: أنا نور من أنواره على هيئةطائر أخف من ريشة عندليب، نادتني أخرى وكانت أطول هذه الزهور قامة:يا نور ألك حاجة فنرشدك إليها؟ قلت: إي والله، فقصصت عليها ما سمعت من آية.

قالت: أبشر، صدق الحكيم وسنعطيكما من رحيقنا ما يكفيكما؛ لأنك إذا اشتد بك الحنين إلى الأوطان فخذ منه ترتد بشرًا، اذهب فأنت طليق، عدت إلى آية وحكيت لها ما جرى فاشتد فرحها وتلاشى حزنها.

قالت: سنسعد غاية السعادة لورافقتنا إلى فارس وسيرحب بك غاية الترحيب. قلت لها معتذرًا: لا يمكنني ذلك؛ لقد تركت ورائي عهودًا يجب علي أن أفي بها ومهامًا تنتظرني وأخاف إذا أنا ذهبت معكم فاتتني فأندم حيث لا ينفع الندم.

قالت: إذا كان الأمر كذلك فخذ هذه ورقة إذا احتجت إلي أحرقها وعندها سأحضر إليك حالا بلا تردد.

قلت: هذه قصة اختصرت أحداثها حتى لاأطيل عليكن وهي واحدة من كثير، قالت: قصة عجيبة ولكن ماذا كان من أمر آية؟ ثم ماذا تعني أنت بالعهود والمهام التي جعلتها ذريعة؟

قلت: أظن أن الملك قد وصله الدواء بسلام فشفي وآية لم أستدعها بعد لعدم وجود داع لذلك، أما العهود فهي التزامات ومواثيق كلفت بها.

قالت: والمهام ماذا تقصد بها؟

قلت: كل من تربطني به قرابة أو صلة له علي حقوق وكذلك نفسي.

قالت: هل تذكر لنا بعضًا من حقوق النفس؟

قلت: النفس كالفرس إن سقتها بلجام العقل استقامت وإن أطلقتها ضيَّعتها فوساوسها كثيرة لا تفضي إلى خير لكن الكياسة والحكمة وما شابهما من الخصال الحميدة هي التي تكسر أشواك نزواتها و تجعلها تحيا حياة نقية، والنفس كالحديدة

إن تركتها صدأت ولايذهب ما تعلق به وما يعلق بها إلا معرفة الله سبحانه؛ هذه المعرفة هي من أجل حقوقها. سكت قليلا ثم سألتها: وما حقوق النفس في رأيك؟ إن إجابتي لا ترقى إلى المراد.

قالت: لقد قلت ما عندك الآن، وقولك فيه ما فيه لكن حضرتك أشياء وغابت عنك أشياء سأذكر لك منها نصيبًا. قال سبحانه:«ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّاها و قد خاب من دسّاها»سورة الشمس الآيات(٧،٨،٩،١٠)«إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي»سورة يوسف(٣٥)«ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد»سورة ق الآية(٦١) «وجاءت كل نفس معها سائق و شهيد»سورة ق الآية(١٢)«فلا تزكوا أنفسكم هوأعلم بمن اتقي»سورة النجم من الآية(١٣)«كل نفس بما كسبت رهينة»المدثرالآية(٨٣)«كلُّ نفس ذائقة الموت»آل عمران من الآية (٥٨١)«ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» الحشر(٩)«ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون»الحش(٩١)«من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسًا بغير نفسٍ أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا»المائدة(٤٣)«واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئا»البقرة(٢٢١)،«لا يكلف الله نفسا إلا وسعها»البقرة(٥٨٢)،« ولقد راودته عن نفسه فاستعصم»يوسف(٢٣)،«وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى»النازعات(٩٣و٤٠)الآيات في النفس كثيرةوكذلك في الأحاديث النبوية الصحيحة فراجعهاوتدبرمعانيها، قال آخرون:هي الأنا التي يقابلها العقل،وقال بعضهم:هي الإنسان بذاته وقال آخرون: النفس طاقة أو قوة محلها كل الجسم تتصرف فيه بكل ما أوتيت من قوة وإرادة ولها أحوال وصفات،قسمها العلماء انطلاقا من الذكر الحكيم إلى ثلاثة أنواع؛ نفس لوامة ونفس مطمئنةوهي أزكى النفوس ونفس أمارة بالسوءوهي أخس النفوس.

أرايت؛ الأقوال في النفس كثيرة، ومن حقوقها تهذيبها و تزكيتها و لا يتم ذلك إلا بمعرفتها ومن حقوقها تذكيرها بصفات الله و أسمائه وتلقينها محبة الله ولا يتم ذلك إلا بإخلاص

النية في البدايات و تجريد القصد إلى الله سبحانه حتى لا ترى في النهايات سواه. وقد حار كثير من الدعاة في ماهية النفس ولا يعرفها إلا من اختاره سبحانه واجتباه .

قلت: هل هي والروح شيء واحد؟

قالت: لا قطعا فالنفس بالنسبة للإنسان كالبصمات بالنسبة للأطراف؛ بها يعرف، وكل امريء و نفسه فهي المكلفة و المسؤولة التي ستسأل و تحاسب حين توضع موازين القسط يوم الحساب فحاسبها قبل أن تحاسب.

اقرأ معي قوله سبحانه»:وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين»الأعراف(٢٧١)

أما الروح فهي من أمور الله الخفية وهي ليست مثل البدن مادة أو مزيج من مواد كالماء والتراب؛ بل هي سر من أسرار الله تعالى وآية من آياته القدسية ولولا هذه الأرواح ما كان لك إحساس ولا شعور ولا أفكار، وما رأيت الناس على سبيل المثال يتحركون ويمشون في الأ سواق.

أما بعد فهذه أزهار وورود قل وجودها على بساط هذه الأرض التي عاث فيها الفساد بما كسبت أيدي الناس، قد جمعتها بعد بحث شاق كدت خلاله أن أولي الأدبار خالي اليدين لولا لطف الله سبحانه و توفيقه، سألت نفسي قبل أن تسائلني لماذا فعلت هذا و ما قيمة هذه الأزهار ولمن هي؟

كنت يوما غير بعيد مارًا بأرض فتذكرت كم كانت تنتصب فوقها أو تفترشها جنان و حقول بها من ألوان الأشجار و النبات ما يأخذ بالأبصار و يهيج النفوس حتى أن منها من تهديه سبيلا يعني مثل أن تنفس عنه كربة أو تلهمه رشدا أو تجذبه إلى التأمل و التفكر في بعض ما خلق الباري سبحانه أو يرى ما لا ترى و لا أرى.

أخذني هذا التذكر أو بالأحرى أخذني حنين هذه الذكرى إلى أن أبحث عن

أثر له،وقد قطفتها بهذه الهمة وإني لأهديها إلى كل متفكر و لهان وإلى كل متذكر حيران وإلى كل متدبر آيات الله في كل حين وآن .

فإليك الآن ما عبرت عنه بعض هذه الزهور تحكي عن حال من أحوال الأحبة. إنما الحبيب من قلبه فائض بالأشواق إذا ذكره أنَّ و ربما تجاوز ذلك الى البكاء، إنَّما الحبيب من فر من سواه و التجأ اليه، من إذا رأى آية من آياته زادته معرفة به و حنينا إليه، إنما الحبيب من إذا لاحت له إشارة رقصت جوارحه طربًا بمفهوم العبارة و خشع قلبه لما دلت عليه من مقامات سنية.

وبينما هي تحكي و تفصح عن هذه الأسرار نطقت أخرى كواعظ يذكر:كم أعين تحسبها ناظرة و هي في الحقيقة عليها غشاوات، وكم آذان ليست بها عاهات ولكنها لا تسمع إلا أصواتًا شبيهة بنباح الكلاب و نهيق الحمير و رنين الأجراس، وكم عقول لم تتجاوز حب الدنيا أتلفتها النزوات واستعبدتها الغرائز و الشهوات والأسفاه؛ مرَّ من هنا وكأنه لم يمر.

كيف لا تتذكر خالقك و قد كنت من قبل لا شئ كيف لا تشكره و تحمده وأنت في بحور أنعامه سابح ؟ كيف لا تبوء له بنعمه عليك وأنت مغموس في عين كرمه،كيف تنساه؟

لم أدر وأنا أستمع إلى هذه الذكرى كيف جرت دموع من عيني و فاضت مشاعر من قلبي؛ ربما من رهبة أو من شوق نحو شروق هذه الأنوار. وأنا كذلك إذ انفلتت وردة من بين أصابعي لتقع عند قدمي فانحنيت لأعيدها إلى حيث كانت. تأملتها بين يدي فلاحظت تهشم بعض وريقاتها، ملكني حينها إحساس مشوب بالحسرة و الحنان في ذات الآن .

قالت: لا تهتم، قل لي ما بال قوم عمروا تعميرا وأكلوا و شربوا كثيرا ونالوا من الدنيا نصيبًا كبيرًا و لكن لم يتفكروا ولم يعتبروا بل ظلوا أسرى الملذات حتى أتاهم هادم اللذات فجأة حينذاك ندموا وتحسروا على ما فاتهم من بر وإحسان.

قل لي: هل تعلم ما عمل الشيطان؟

قلت في دهشة عارمة: شيء قليل، قالت: غواية الناس وتضليلهم من يوم و لدوا إلى آخر ساعة من حياتهم، إنه مجند لذلك لا يهدأ له بال إلا بانضمام هؤلاء إلى حزبه، وإني لعليمة بشتى أنواع حيله ومصائده و كثرة تساقطها على بني آدم كتساقط الشهب على أجواء الأرض، هذا ما حفظته من كلامها.

حملت باقة الزهور وذهبت من هنا، قصدت جانب البحر لأرسل بصري نحو الأفق حتى أنظر بعيدًا بدون حواجز كما هو الحال في المدينة حيث المباني و الحيطان و الناس و ما هم عليه على الدوام من قيل و قال و خصام ومايضرهم ولاينفعهم من أفعال.

كنت واقفًا أتامل جمال مناظر بحر المحيط و انعكاس أشعة الشمس على سطحه المديد وشدني من جهة الجنوب منظر يثير بريقًا يغشي العين فلا تستطيع الرؤية لكن جلال الموقف يلهمك شعورًا غريبًا رفيعة معانيه عزيزة دقائقه و قريب العبارة من عبرة أولهفة العاشق لطلائع أنواره البهية.

التفت إلى وردة أبهى و أدق اعتدالا كأنها نبتت من تربة رياض الأنس والبهاءوسقيت بمياه العذوبة و الصفاء .

قالت بصوت رخيم مشيرة إلى حقائق دفينة طالما صرحت بها لكن لم يشعر بها أحد بجوارها أين ذهب أمير قومه الذي كان بالأمس ينشد أغنية الحياة في فناء هذه الدار؟ لقد كان يمر بنا خلال تلك الأيام الخالية و هو يعزف و يترنم حتى إننا كنا نتايل مع سماع تلك الأصوات التي تذكر بغلاوة نسمات المحبة و شيئ من مقامات الوجد و قبسات من أنوار القرب و في بعض الحالات كانت نغماته تقع على قلوبنا فنضطرب و نظل حيارى ولولا تلك الجذور وما لها وعلينا لانشقت أرضنا و سعينا وراءه من سحر بيانه و عذوبة ألحانه، ناهيك عمَّا تشير إليه عباراته من أسمى المعاني وألطف المجاني ومن روائع ما كان هذا الأمير يترنم به في حله و تجواله هذه الأشعار:

قد استولى على قلبي هواك ومالي في فؤادي من سواك

فلو قطعتني في الحب إربا لما حن الفؤاد إلى سواك

و مما حفظته عنه كذلك:

أفناه عن حظه فيما ألم به فظل يبقيه في رسم ليبديه

ليأخذ الرسم عن رسم يكاشفه والسريطفح عن حق يراعيه

وسمعناه أيضا ينشدو وقد شرب من كأس الحب:

شربت الحب كأسًا بعد كاس فما نفد الشراب ولا رويت

عجبت لمن يقول ذكرت ربي فهل أنسى فأذكر ما نسيت

كانت الوردة تروي فصولا من قصة حياة شاب أفنى جُل شبابه في طلب محبوبه و كيف أنه لما قرب من طلائع أخباره انبهر مارأى وسمع ؛ فلقد رأى جلالاً و جمالاً و نورًا و سمع أصواتًا لا كالأصوات. فهمت من هذه الأخبار أن الوردة الأمينة أخفت أو لم تسطع أن تفشي هذه الاسرار غيرة على مكانة هذا الشاب وقربه من الأحبة .

جلست هنالك قرب صخرة كبيرة،وضعت باقة الزهور أمامي وأرسلت بعض النظرات نحو الغروب مسترسلا نخبا من الأفكار حول ما يختلج في الخاطر من الاعتبار لعلي أنفذ بها إلى أعماق هذه البحار أو يرفع الستار عن جزء من تلك الأسرار. قلت: حجب مانعة لرؤية أنوار المعارف لا تزول إلا بالاغتسال بمياه الإخلاص و الإقلاع عن حب الدنيا و التوجه بسلام إلى حضرة المحبوب. قلت: كم كثيرة الكم و الكيف النظرات التي نرسلها لكن دون قيمة لأنها تبقى في دائرة العمى لا ينفذ منها شيء إلى كنه حقيقة من حقائق العرفان .

بينما أنا أنهج هذه الطريقة في التدبر والافتكار إذ نادتني وردة أخرى يعجز اللسان عن وصفها قائلة:

ما أعذب هذه الألحان! ماأطيب هذه الروائح! ما أجمل الصور التي أرى! ،هي مجالس بهاء فيها الأحبة والأخلاء فيها اصطفت المجالس من كل صنف و تباهت بلا فخر فيما بينها بما حازته من الأوصاف الفاتنة و المعارف الغالية و الأنوار الصافية، فما أزكى هذه الأنفاس و ما أنفس هذه الأحوال، فما ثمة زمان كزمانكم ولا مكان كمكانكم بل مقامات و أي مقامات.ها أنذا لوحت إليك بخبر يقين من شأن جليل، ما ثمة إلا حبيب أوخليل لو اطلعت خلسة فوقعت عيناك على عين و احدة ليس إلا ما طاب لك عيش بعدها أو سمعت ما لم تكن تسمع ما هدأ لك بال ما حييت و ربما وصفت بالجنون أو مت في الحال، وإن تعجب فعجب ما أنت فيه.

قلت: كم مرة وزنت نفسي فوجدتها أقل من وزن ريشة طائر صغير، قيل لي: أنتَ لا شيء، بل أنتَ الشيء كله.

حسبت نفسي كقطرة من هذا المحيط أو كحبة رمل ملقاة على ساحله أو كذرة من هذا الكون، فما قيمة الإنسان إذا كان هذا وزنه؟ هل يلتفت إليه إذا كان شبه لا شيء؟! هي أسئلة كثيرة تبدو محيرة لكن الجواب بسيط، بمعنى أنه سهل العبارة واضح الإشارة جلي الإفادة، معناه أن الانسان قيمته تتجلى في إيمانه عن علم و دراية بأن الله سبحانه هو خالق هذا الكون و هذه الذرة و لا يسعني هنا ذكر ما يتعلق بهذا الإيمان من لطائف المعارف و معادن الأسرار، وباختصار قيمة الشخص تكمن في إيمانه؛ أي حسب إيمانه تكون قيمته و من أزكى و أحلى ثمرات الإيمان طيب الأخلاق وحسنها. هنا أوقفتني زهرة يحتار ذو لب من وصفها بسبب كثرة محاسنها قائلة:

ماسنام الحياة السعيدة؟ماسروجودنا هنا؟ ماذا تريد؟ من أنت؟وما مصيرك؟ و كم تعيش؟

قالت أسئلة كثيرة اخترت منها ما حضرني عن تذكر.

أردت أن أسالها عن أمور تخصني لكنني استحييت فاقتصرت بالسماع منها.

قالت و كأنها تسأل وتجيب: سنام السعادة المنشودة محبة المولى و سر الوجود معرفته على قدر جوده سبحانه، فكل من اصطفاه يغترف من عينها ما يجود به عليه .

أما ماذا تفعل فأنت محظوظ بحظ عظيم كتبه لك بمحض اختياره، ولولا اختياره لما كان لك ارتقاء إليه، و لوتركك إلى ما تريد لأهلكت نفسك و أتلفتها و لكن سبقت إرادته إرادتك و شملتك رحمته وعنايته وأنت كما أنت نفس مطمئنة و روح طيبة، كذلك قضى لك سبحانه الخير فيما اختاره فاعبده و استقم حتى يأتيك اليقين، و اتبع سبيل الحبيب عليه أزكى صلاة وأكمل سلام تفلح، وإنك إذن لمن المفلحين الذين مصيرهم إلى رضاه عز شأنه وتعالى قدره وما قدروا الله حق قدره.

ألقت إلي إجابات أخرى لا قبل لي بها حرت في فهمها، نفذت في خواطري بعض تجلياتها ونفثت في روعي واردات منها. اهتز لها كياني فلم أعد كما كنت ساكنا، و بعبارة أخرى أثَّر في كلامها و اضطربت بين نفي و إثبات وحيرة و ثبات حتى صرت لا أعير اهتماما لهذه الحياة لما لاح لي من همم الحياة الباقية.

مكثت على هذه الحال لا أحس خلاله بمرور أو بفوات الساعات، فلم أكن منتبها لهتافات العوارض و صرخات النزوات كأنني لست من هذه الأوطان. بينما أنا كذلك إذ نادتني قائلة بصوت رقيق يفيق النائم من سباته والغافل من خمول: جرعات الحب يسري رحيقها في النفس، ربما كما يسري السم الزعاف في الدم إلا أن السم يزهق النفس في الحين، بينما الحب رشفاته تصيب الفؤاد في الصميم فيذهب العقل إلا قليلا و تظل الروح سابحة بلا عنوان في بحر سواحله بعيدة، ما بين الساحلين كما بين السماء والأرض و أعماقه غائرة لا تتصور كم هي عميقة. هذا والحب هاتف من هتافه ينادي هل من مزيد ولا يبالي بمن صرع من عشاقه و كأنه لا تسعه قلوب أوليائه و منهم من يرحمه شيئا فيجعله هائمًا لا يدري أين هو أو تائهًا لا يدري من هو، أما من تحرر من قيوده - وهم قليل- فتبقى آثاره واضحة عليه أينما توجه تلازمه كظله .خلاصة القول: هذا الحب يشبه النار

الملتهبة كلما ألقيت فيها حطبًا زادت تهيجًا وقالت زدني أزدد، ولولا الأحبة ما كان للحب كيان، لكن مذاقه أعز من مذاق العسل يعجز الفكر عن إدراك لونه، أما اللسان فمهما تعددت ألفاظه لوصف أحواله يظل عند ظنونه فقط لا يتجاوز حدوده، كم من محب ضاق صدره بما لا يطاق، لم يجد طعما للنوم ولارغبة للأكل ولا ميلا للشهوات لم يجد ملجئًا فيها ليتخلص من قيود حبه فتاه في أوحال هيامه و ذهب ولم يعد إلى الآن.قلت: هذا حب طرقه وعرة وهو والجحيم سيا

قالت: إنك لم تحط بعد بما أخبرتك به عنه، لم تدرك إشاراتي و لا تنبيهاتي.

سأضرب لك مثلا في هذا المعنى فاسمع؛ رأيت يومًا محبًّا جاثيًا على ركبتيه يبكي بكاءً تهتز له مشاعر النفس و يتفطر القلب لسماعه ولم يكن هذا الجريح بعيدًا مني، تمايلت رغمًا عني يمينًا و يسارً،ا وبدون أن أدري ناديته: هل لي أن أسالك عن سبب لحالك هذه؟ لم يسمعني أو لم يلتفت إلي؛ ربما شغله ما يكابده من الهوى و هواجسه عن سماعي أو أصمه حبه و أعماه حتى إنه لم يعد يسمع أو يرى شيئًا.

قلت: يا فتى ربما أنفعك في محنتك، قد أجد لك مخرجًا. كنت أحاول أن ألفت نظره إلى وجودي لأنني مكثت طويلا أناجي نفسي وحيدة في وحشتي، قد بتعد الأنس مني كبعد الشمس عند الغروب. قال الفتى وهو يئن أنينًا خافتًا كأن سهمًا أصابه في صدره واخترق ضلوعه: كيف وقد انشغل قلبي بذكره؟ .صمت قليلا ثم استأنف الحديث قائلا: لست في محنة كما أبدو لك.إذا رأيتني حقيقة قلت منحة أو نفحة من نفحات الشوق قد أعجز عن وصف ما أنا فيه، كل ما في الخاطر الآن هو شعوري بتقصيري في حبه، أأبوح لك بسر من تلك الأسرار؟ قلت وأنا مندهشة مما سمعت: يا حبذا، قال: ربما أسكرتني شربة من أحد كؤوس محبته فجرت دموعي كما شاهدت استودعتك الله الذي لا تضيع عنده الودائع.قال هذا وانصرف و لم يترك لي جوابًا.واأسفاه على ما قال و ما لم يقل.

قالت: سمعت أن المحبة فتنة تقع في الفؤاد من المراد نارها محرقة و بلاؤها شديد.

ورأيت إذا كان الدعاء مخ العبادة فالمحبة قلبها و لولا حلاوة العسل ما كان للعسل شأن. التفتت إلي بعد بيانها هذا قائلة: هل تفهم شيئًا عن الحب؟ قلت:لا يفهمه إلا من جربه، أجابتني: صدقت وقد خاب من عاش و لم يحب.

قلت: يا حبذا لو أحببت.

قالت.أنت تطمع فيما لا تستطيع عليه ولا تقوى عليه أنفاسك و لا يتحمله ظاهرك ولا باطنك.هل تسمعني؟

قلت: نعم .

قالت مستشهدة بقول أحد الشعراء :

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

سأحكي لك شيئا يشبه هذا وتعتبر منه اعتبارا: سمعت فتى في بداية شبابه يذكر فترة عصيبة من حياته لم يمرعليها إلا وقت قصير فتركت في نفسه جرحا عميقا، قال لي:

وقفت بشاطئ بحر من بحار الهموم فرأيت فيما رأيت أمواجًا تتلاطم بشدة تكاد تبلغ السحاب، خيل إلي مما لاحظته من الأهوال التي تطفو على سطحه أنه لا عيش رغيد أو ضرب من السعادة يمكن أن يعول عليه؛ بمعنى لا أمل يرجى هناك

و لا أحد ينجو إذا خاضه. قلت له: هل تشرح لي ما تقصده؟ قال: كنت أسمع عن الحب الكثير لكن لا أعيره أي أهتمام و أحيانا أنتقص من قيم الشخص الذي يقع في شركه، ربما تجاوز الأمر بي إلى احتقاره أو الاستهزاء به.

كنت ألهو كثيرًا في بدايتي هنيئًا مريئًا...حتى صارت تربطني على حين غفلة علاقة حب غريب بفتاة لا كالفتيات ذات خلق رفيع، كانت تمنحني من نفائس المشاعر ما يبتهج به قلبي و أجد لوجودي بالقرب منها ما يجلبني بقوة لهذه الحياة؛ بمعنى آخر كانت تحرص على خلق أسمى معاني الود و الأما ني في روحي كأنها ملاك أرسله الله تعالى ليشملني بعنايته الكريمة، فما أغلاها من روح! لاقيت

من حبي لها ما يعجز النهى عن كشفه.لم يسعني إلا أن أستسلم لها وأبوء لها بتعلقي بها و علمت يقينًا أن شهودي بدونها لا شيء. صمت الفتى هنيهة ربما ليسترجع ويستجمع جزءًا من أنفاسه و شطرًا من ذكرياته.تابع حديثه قائلا: لم أخبرك عن أول لقاء، لم أحك لك عن أول نظرة، ظننت أن الدنيا كانت مظلمة فأشرقت فجأة. كنت غافلا فانتبهت، و نائمًا فصحوت وميتًا فبعثت، النظرة اخترقت الفؤاد فأيقظت مهجته و استولت على الفكر فحركت خواطره و نفذت إلى أعماق نفسي، ففعلت هناك فعلتها التي أثارت مشاعرًا، لم أكن أعرفها قط، أما اللقاء فكان بداية لحياة جليلة الشأن عزيزة المنال.منذ ذلك الحين ارتبط قلبي وفكري بها ،صرت لا افكر في شيء أو يشغل بالي غيرها.

ظلت صورتها لا تفارقني كظلي .

قالت لي مرة:إني أتذكرك كل حين في يقظتي وأثناء غفوتي، يعذبني حبك وأجد لذلك عذوبة لم أجد لها مثيلا من قبل، أردت أن أفهم شيئًا مما يحدث لكن فعلته دون جدوى. لم تكن لي قدرة على مقاومة ما يجري.أحيانا أحس بنار تحرقني وأحيانا أخرى أشعر ببرد قارص يلفحني،إنني أشكو إليك ما فعله بي حبك وكيف تيَّمني.

كنت فتى رقيق المشاعر لذا عندما أصغيت إليها أجهشت بالبكاء ففاضت عيناي بالدموع، وسترت وجهي بيدي فتبللت بقطراتها.

دنت مني وضمتني إليها، أحسست ببرودة أناملها ودفء جسدها. قلت لها: وأنا لمن أشكو؟

وفي يوم من الأيام لم يكن في الحسبان توفيت.هناك توقف هذا الشاب عن الكلام و بدأ يمسح بعض العبرات التي سالت على خديه.قال بعد لحظات: اعذريني فأنا لا أقوى على الاستمرار. استأذن وتركني وذهب. لم يكن في وسعي إلا أن أدعو له.

قلت: كم هو أمر خطير أن يحب المرء من يحب ثم يضيع منه.

قالت: أكيد، لكن حب الله أجل وأعظم و لولا محبته ما كان لهذا الوجود طعم لذيذ؛ فكل روح نبيلة فلكها دائر عليه تستمد منه نورها و حياتها. إنني قصصت عليك من أحوال المحبين ندرة من الأخباروعندنا منها رياحين لو بحنا إليك بطرف منها ما طاب لك عيش أو استقر بك مقام هنا وإنني أحببت أن أطلعك على بداياتها، عسى أن تتذكر جزءًا من تلك المعالم الفاضلة فتطلبها، وأنشدت لي على لسان أحد الشعراء الأمجاد:

بدا لك سر طال عنك اكتتامه ولاح صباح كنت أنت ظلامه

فأنت حجاب القلب عن سر غيبه و لولاك لم يطبع عليك ختامه

فإن غبت عنه حل فيه وطنبت على منكب الكشف المصون خيامه

قلت لها كاشفًا عن سر من تلك الأسرار الدفينة: أنا كنز محله فوق السماوات والأرض، مقامه عزيز ومكنوناته لا تقدر.

قالت معترضة:كيف تجرؤ على قول هذا الكلام وأنت على هذه الحال؟ويحك هتكت سترًا، لولا محبتي لك وغلاوتك عندي لفضحتك.لا يحق لك قول هذا وأنت مثقل بذنوبك ملطخ بأوحالك مقيد بأفكارك وشهواتك، مفعم بنزواتك وأغراضك،ألهتك الحوادث وقطعتك الأسباب،ابتعدت حتى أشرفت على أجراف الرزايا،فلاتدَّع القرب وأنت لم تتخلص بعد من علائقك. كم من مدع ليس له مما زعم شيئًا مذكورًا إلا ما اقترفت يداه من الآثام، ظن أنه على حق جلي لكنه لما قام وألقى سمعه ونظره علم أن دعاويه كرماد انتثر، فلم يبق له أثر عض على أنامله حسرة على ما فاته من الحقائق فيها قلائد مرصعة بأنفس النفائس و خيرات حسان.

نهضت من مجلسي ذاك قرب الصخرة، تناولت باقة الزهور و مشيت قليلا دون أن أدري أين أتجه. تأثرت إلى حد بعيد بما سمعت.

قالت زهرة من تلك الزهور: أين ستذهب بنا وبنفسك؟ إذا كنت تحب الحكمة فزهرتك التي حاورتك قبلي عندها الخبر اليقين؛ إنها تقول لك تمهَّل ولا

تعجل في أمرك، إن الذي أمامك لم يهيأ ليكون وراءك.

قلت: تداعيتُن علي تردن اللعب بي لعب الصبيان بالكرة.

قالت الزهرة الحسناء: كيف تتهمنا بما لا يليق وقد امتدحتنا من قبل و قرت عيوننا به و الله شهيد على ما نقول؟! إذا تفضلت عرج بنا إلى تلك الحديقة عسى أن نكون فيها بأفضل حال، فلما طاب لنا المقام قلت: ما هذا العتاب؟

قالت: رويدك، غلبت علينا المشاهدات وأبهرتنا بعض التجليات لذا فجل ما تسمعه من كلام يخرج من هذه الأفواه على شكل نفحات لاعتاب فيها ولا تثريب فأحسن بنا ظنك عافاك الله.

قلت: أنا كذلك بتوفيق منه سبحانه، إنما كنت أباسطكن فاعذرنني؛ إن البسط إذا حضرني ألقى علي أجنحته فتغمرني فوائح له ولا أبرح حتى يولي.

قالت: صفه لنا إن كنت صادقًا.

قلت: البسط حالة تقع للنفس بسبب زوال ما تنفر منه أوبنوال مراد، وهو يقع كالطائر الجميل الصورة، الطيب الرائحة عندما يشدو بأعذب الألحان، والبسط أوصافه يغلب عليها الأمل و الفرح، إذا زاد كان فيه مرح.

قالت: نعم، كلامك قريب مما عندنا.

قلت: حدثيني عنه من فضلك.

قالت.البسط وارد يرد على منزل الخواطر فيثير فيه ارتياحًا و انبساطًا وينقل إليه بهجات ويسدل الستار على عقبات، وهو من نفحات الألطاف، يقع في القلب فيسري في الدم طيفه وغالبًا ما ينطلق اللسان بعبارات مليحة، و أحيانا بإشارات نبيلة ومثله كمثل غيث خفيف أصاب أرضًا رطبة فاهتزت وربت، والكلام عن البسط بسط. اقتطفت لك منه ما تيسر.

قلت: إذا تفضلت فما ضده؟

قالت: يقال إن القبض هو ضده، و يظهر عند حدوث أمر طارئ يقلق النفس و يعكر صفوتها يدخل الهم إلى القلب و يضطرب الفكر ولا يزول إلا بزوال أسبابه، مثله كمثل باب يطل على فضاء فسيح فيه خضرة ومحاسن، فصد بغتة فماذا تعرف عنه؟

قلت: هو حالة على إثرها تنكمش النفس لتضيق بما أحاط بها من تشويش وأصابها من مكروه وتتمنى لو أن هذه السحب تمربسرعة ليعود الصفاء إلى سمائها، وفي كل الأحوال يجدر بالمرء أن لا ينسى قدرة الله تعالى ولطف صنيعه بعباده، فهو وحده القادرعلى قلب الوجوه ونسخ أوراق القدر من حين إلى آخر على حسب ما يصعد إليه من العمل الصالح والكلم الطيب، وفي هذه الحالة يلتجئ المؤمن الى مولاه فيكثر من الدعاء ومن يجيب المضطر إذا دعاه.و القبض لونه كلون الحزن أو الكآبة و يبلغ أشده إذا كان ناتجًا عن مصيبة كبيرة. والكلام عنه يطول، أخبرتك الآن بما يكفي.

قالت.نعم القبض مقرون بالخوف أما البسط فله ارتباط قوي بالرجاء والأمل، فلا تنخدع بانبساط البسط ولا تمكث مغلولا بانقباض القبض. اسحب نفسك إلى مواطن الأمان حيث المحبة و السلام .

سألتها حين ذلك عن مراتب المحبة إن هي وجدت.

قالت: عدنا إلى مركز الدائرة أو نقطة البدء، سؤالك هذا مثيرو مدهش ورغم ذلك سنصلك بقطوف منه ؛ قيل للمحبة درجات في بداياتها نجد مقامي الانشغال والوفاق و نجد في أواسطها مقامات المشاهدة والعشق و الهيام و أعلاها الفناء .

قلت: فما الوفاق؟

قالت: أن توافقه إذا قال لك اتبعني تتبعه، وإذا قال لك لا تسألني حتى أخبرك فلا تسأله وإذا قال لك امكث هاهنا حتى آتيك فلا تغادر.

هذه موافقة فما رأيك بالوفاق؟ إنه يزيد عليها بكثير وهو طاعة من نوع خاص ممزوجة بجذب.

قلت: كيف؟

قالت: يعني بانجذاب القلب و ميله إلى محبوبه وهذه من بدايات المحبة كما قلت لك.

إن المحب يترقى من درجة إلى درجة أخرى بسبب ما يتلقاه من الهامات في هذا الشأن.

قلت:إذن المحب عبد مملوك.

انعطفت شيئا كأنها تمازحني ثم قالت: بل هو مالك يعجز اللسان عن وصف ما يملكه من بين أوصافه نور ينبعث من وجهه يقول لا نفاق ولا شقاق.

قلت خجلا: وماذا بعد الوفاق؟

قالت: الشوق فماذا غيره؟

قلت:فما معناه؟

قالت: له عدة معاني أحدها هيجان الفؤاد واضطراب النفس وإذا حدث اللقاء الأول وهو دون اللقاء الآخر طار الفؤاد فرحًا واطمأنت النفس بقرب المحبوب، ومن معانيه أيضًا انشغال الفكر بصفات للمحبوب و تمني لقائه هذا باستمرار، بشغف عظيم وتصطلم نار الشوق في القلب ولا تهدأ إلا عند اللقاء و رب نظرة واحدة إن لم يكن لها استعداد تنهي هذا الأمروتفقد المشتاق روحه.

الشوق أنواع على حسب دراية ومعرفة المشتاق بمن يحب و كلما زاد حبه زاد شوقه فماذا تعرف أنت عنه؟ أجبتها قائلا:كيف لي أن أجرؤ على بسط الكلام في هذا الموضوع ..أو أن أقارن ما عندي بما عندكن، بضاعتي في هذا المعنى قليلة جدًّا.

قالت : لا عليك، قل.

قلت:إني أشكو قسوة قلبي من أمد بعيد، محبة ضعيفةواشتياق ضئيل. ما

زلت أبحث عن مصدر هذه الأنوار منذ أن وعيت وكلما تقدمت زادت المسافة بعدًا.

قالت: من علامات المحبة تذكر المحبوب والبحث عنه، إنني أرى إشاراتها كامنة في باطنك مثلما أرى لوامع ماسة ملقاة في عين مياهها صافية،أنت محب بحق فهل تشرح لنا غوامضها .

قلت: الشوق إحدى مقامات المحبين وهو شبيه بانجذاب القلب إلى بعض لآلئ

المحبوب التي تملكه عند هجوم أنوارها عليه، والمشتاق لا يكتفي بالانتظار بل يتخطى حدوده ليقف على مشارف الأخبار ليعلم متى يكون قدوم المحبوب فهو كثيرالالتفات إلى المطالع البهية شديد الطلب من أجل النظر. هذا ما عندي الآن من أنبائها فمعذرة إن كنت قد أسأت الأدب.

قالت: كلام جميل أفلا أسمعتنا مزيدًا منه؟

قلت: الشوق مقام رفيع لا يبلغه إلا المحظوظون، ضياؤه يعمي من شدة توهجه

ومذاقه حلو مسكر، من شرب منه شربة شد في الحين الرحال و عزم على الأسفار، و لم يعد له مقام. فواشوقاه.

قالت: أحسنت الشوق من هذا القبيل .نشكرك على تعليقاتك التي أطربتنا معانيها .

قلت: عفوًا، فماذا عن المقام التالي؟

قالت: تعني الوجد. هو ثمرة من ثمرات المحبة، يرد على القلب عند سماعه لألحان الكلام و نغماته وشهوده لمفاتن بعض صفاته و دررها أو ألقى السمع وهو شهيد.

تواجد المحب يأتي زلفى من قبل المحبوب؛ أحيانًا على شكل نسمات فوائحها أطيب من ريح المسك وأحيانًا أخرى على شكل رسائل يعجز المرء عن إدراك فحواها لتبقى أسرارًا مصونة في قلوب المحبين. وقالوا إن الوجد حالة ناتجة عن

حلول الأحزان بالقلوب جزَاء ما سكن فيها من خطوب.

قلت: كنت قد سألتك عن الوفاق ونسيت الانشغال فما هو؟

قالت: هو أيضا اضطراب الفكر واهتزاز النفس للحدث الجلل الذي وقع، فلا وجهة ثمة إلا وجهة المحبوب و لا أخبار هناك سوى أخباره، جل اهتمامه انشغاله بشؤونه وأوصافه، ماهي وكيف هي، هذه مع أمور أخرى تأخذ بلبّه يتقيد بها وتقيده حتى لا يستطيع الخروج من اعتقاده؛ فالمشغول مفتون لايكاد يفترعن ذكر محبوبه ساعة .

قلت: الانشغال إذن قيد في عنق صاحبه.

قالت:لا، إنما هو قلادة نفيسة معلقة حوله تصل سابقه بلاحقه ولولاه ما كان للحب قيمة.

قلت: وماذا بعد الوجد؟

قالت:الوله.

قلت مستغربًا: وماهو؟

قالت: إذا رأيت الولهان أبكتك حاله؛ إذا رأيته قلت هذا ليس من هذه الدنيا. ربما ترثي لحاله أو ربما تغبطه، والوله نوع من السكر بسبب ما تجرعه صاحبه من خمر المحبة التي من شرب منها تحلت روحه وخفت نفسه وغاب عن رؤية الأغيار، لذا الولهان ليس هاهنا بمعنى يترقى إلى منزلة عزيزة لا يدركها إلاذو حظ عظيم و في ذلك فليتنافس المتنافسون.

ولسان حال الولهان يقول: يا لوعتي في محبتك.

الولهان لا يفيق من نشوة ولهه حتى يرش عليه من مياه عين المحبة وإذا صحا أحب أن يعود إلى ما كان عليه، فهو بين السكر و الصحو متقلب.

لا يستحسن أن أثقل سمعك بمثل هذا الكلام ربما تمل أو يضيق به صدرك.

لذا سنتوقف عند ظلال شجرة الوله لنرتاح من عناء هذا السفر.

قلت: بالعكس؛ كلامك يؤثر في كما يحدث للأرض اليابسة أثناء وقوع القطرعلى بساطها.

قالت: الحديث عن شعب المحبة شيق لا يتذوق حلاوته و يدرك مكانته إلا محب.

اختلفت مشارب المحبين فمنهم من شرب قطرات فكفته؛ نسي الدنيا وما حوته من الخضرة و الجمال، ومنهم من داوم على الشرب إلى أن غاب عن نفسه فأشرقت عليه شمس المعارف فعلم ما لم يكن يعلم.

قلت: كيف يغيب المحب عن نفسه.

قالت: تراه في البداية يكثر من قول فداك نفسي و عندما يتحقق حبه بنسبة أو بأخرى تبطل أنانيته و تتلاشى رويدًا رويدا؛ فالمرء إذا أحب نفسه وتعلق بأنانيته امتلكته الغفلات ولا أظنه يفيق من نومه إلا إذا أصابته رحمة، لذا فالمحب غائب عن نفسه حاضر بمحبوبه. هل فهمت قصدي؟

قلت: نعم، وبعد الوله؟

قالت: نرى التيه بعده.

قلت مستفهمًا: كيف؟

قالت: عندما يستشعر المحب ما يجده و يستعذب ما يفد عليه يحلق قلبه ويتيه،يعتزل ويهجر الناس و الدنيا. دليله إني مهاجر إليه. هل فهمت المعنى؟

قلت: أكيد، وبعد التيه؟

قالت: المناجاة والتغني بإشارات تعود لأسماء وصفات تخص المحبوب.

المناجاة ابتهالات أما التغني فهو كلام ملحون على أوزان تنكسر لها القلوب

وتدمع على وقعها العيون وتضمحل بسماعها نزوات النفس فلا يبقى معها كدر أو هاجس، و كل وزن منها يحط قيدًا و يفتح بابًا.

قلت:ثم ماذا؟

قالت: أظنه نسيان الذات.

قلت: و ما هو؟

قالت: إن الحب ينقش في القلب صورًا يصعب تأويلها، عندما يطلع عليه نور من أنوار الرضا تتضح الرؤية فيذهل المحب و ينسى ذاته و تنحل رسومه بحلول رسوم لمحبوبه.

قلت: ماذا يرى في هذا المقام؟

قالت؟ سنضرب لك مثلًا؛ قد يتجلى لك نور فيذوب قلبك هيبة أو يبدو لك سر يصعب تحمله فيغشى عليك ولا ينبغي لك أن تفشيه بعد ذلك لأنه مخصوص بك وبمحبوبك فقط، مكتوب على إحدى صفحاته ....فمن أفشاني أتبعه شهاب ربما أحرق فؤاده .

قلت: ثم ماذا بعد هذا النسيان؟

قالت: مراتب أخرى يطول شرحها، ثم تأتي مرتبة المشاهدة قيل: المشاهدة هي المعاينة لكن في ديوان المحبة غير ذلك؛ لأن النظر وحده قاصر لا يكفي و لا يفي بالمقصود، وقيل: المشاهدة هي رؤية آيات وتجليات له و سماع لوقع آثار له و هذا المعنى قريب، وقيل: المشاهدة هي مكاشفة المحبوب لبعض إشاراته وإزالة ستر كثيفة عن أسرار عزيزة محلها القلب، وهذا المعنى أقرب.

قلت: أية أسرار؟

قالت: إذا تحليت بالصدق والأمانة والإخلاص سترى ما لا عين رأت وتسمع

ما لا أذن سمعت، فتسقى من ماء مصفى، من ذاقها لم يمت قلبه، ولكل محب مشاهداته حسب درجات قربه من محبوبه .

قلت: أللقرب درجات؟

قالت: هذا مقام جليل سنخصص له توضيحًا لاحقًا، فذكرنا به إن نحن نسينا .

قد اخترت لك من معاني المشاهدة ما قل ودل، عسى أن تجني من أغصانهاما سيطيب لك و تقر به عينك.

قلت: أكثرت عليك من الأسئلة، فلا تؤاخذينني على فضولي .

أجابتني بصوت خفي: أنت كثير الاهتمام بهذه المعارف، قصدك نبيل وقلبك تفوح منه روائح زكية و تغمره أنوار بهية. اسأل عما بدا لك نعطك منه خبرًا.

قلت: أخبريني عن العشق ما هو.

قالت: العشق عينه عين جارية من اغترف منها وشرب عرف وشينه شعلة المحبة التي يستضاء بها ولها شأن وأي شأن، وقافه قرة العين وهو خاتم العشق الذي به يعرف، والعشق نسبته من المحبة كنسبة الرؤية من العين، أما حده فهو حال تطرأ على المحب تغمر قلبه وتتلبس بروحه وتمتلك كيانه، و سببه قوة حبه وما ظهر له من جلال المحبوب ومحاسنه وقيل: إن العشق هو لب المحبة ومركزها الذي تسبح حوله أفلاك العواطف ومراكب اللطائف ولا تستصيغه الأفهام لدقة معناه.

قلت: فما الهيام؟

قالت: أنت لا تشبع من سماع الإمتاع و الاطلاع على سير المحبين، ولكن سأطلعك عليه بنبأ جلي. الهيام أيضا ثمرة من ثمرات المحبة وهو ألطف من التيه وأرق من الوله،

وهو ملاك المحبة له أجنحة تتطاير منها روائح المسك و العطر، فتراه يطير بقلوب المحبين إلى حضرة المحبوب في موكب قدسي يحار الفهم في هيئته لبهاء دررہ، وإذا علمت هذا فكيف تركن إلى الدنيا وتميل إلى خسيس شهواتها وذلة نزواتها؟

قلت وأنا عاض على سبابتي اليمنى: كم أنا متحسر على ما فاتني من الخيرات، سأبكي حزنًا على نفسي لعل بكائي يغسل شيئًا من خطاياي، وأستأنس بقول ربي في محكم التنزيل:

«نبئ عبادي أني انا الغفور الرحيم». سورة الحجرالآية ٩٤ .

قالت متمثلة بقول أحد الشعراء

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

و سالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

إياك أن تدعي المحبة وأنت غافل بالعلائق عن اللآلئ.

قلت: سأنزع عني لباس العناد وسرابيل الهوى.

قالت: وتحل بثياب الرضى ورداء التقوى خير ثم أقبل و أنشدت على لسان أحدهم:

ما زلت دهرًا للقلى متعرضا ولطالما قد كنت عنا معرضا

جانبتنا دهرًا فلما لم تجد عوضا سوانا صرت تبكي ما مضى

لوكنت لازمت الوقوف ببابنا للبست من إحساننا خلع الرضى

قلت: هذا كلام عذب فرات، وهو عبرة للذين يدعون المحبة و هم في أحضان الدنيا يلعبون.

قالت: نعم، وهل تعرف ما هي خلع الرضى؟

قلت: ربما هي أن يصير مرادك تابعًا لمراده واختيارك تبعًا لاختياره.

قالت: نعم، وإن أصابك مكروه أو بلاء زادك يقينًا بصدق محبته لك وسرورًا بمعاملته لك.

قلت: وما مكانة الغرام وما هو؟

قالت: الغرام من مقامات المحبة الوسطى كالوجد، وهو حالة تهيمن على القلب وترسم فيه صفات للمحبوب فيجزع ويميل كل الميل نحو المراد وإنَّ في ميله لعجب يحير الأفهام ويدهش ذوي الألباب؛ من تسنى له مواكبة عاشق من هذا الطراز غشي عليه وجدًا، أو هام على وجهه متغنيًا بأجود الألحان أو أذهلته عبراته وأتلفته عباراته إلا إذا لم يكن له قلب يحيا به أو سمع يسمع به، الغرام قرين العشق وليس هو كما قال أحدهم فيه:

والعشق يجتذب النفوس إلى الردى بالطبع واحسدي لمن لم يعشق

أو كما قال آخر:

وكان ابتداء الذي بي مجونا فلمَّا تمكن أمسى جنونا

وكنت أظن الهوى هينا فلاقيت منه عذابا مهينا

و ليس حبيبنا هذا كالذي قيل فيه:

ظل من فرط حبه مملوكا ولقد كان قبل ذلك مليكا

بل على عكس ذلك كما أوضحته لك من قبل؛ المحب مالك يملك بمحبوبه ما لا يخطر على بال، نحن الزهور كنا في البداية لا نعرف، فلما بدا لنا أحببناه وكنا لا نهتدي، فلما تجلى اهتدينا.

قلت: قد ذكرت أن الفناء في المحبوب هو ذروة المحبة فما معناه؟ انعطفت شيئًا في يدي وقالت: آه، كم هو عزيز هذا المقام! هو مقام الوصول.

قيل عنه الكثير، قالوا: إن الفناء هو التخلي كليًا عن رغبات النفس؛ أي حظه إسقاط الحظوظ والتحلي بأوصاف للمحبوب وقالت طائفة لها باع في هذه المعارف:الفناء هو إخلاء وجودك من هذا الوجود وعدم رؤيتك لأفعالك وتخليك عن كل ما تملك لمن يملك، والفناء في المحبوب غير هذا وذاك .

قلت: كيف ؟

قالت: إنه ليعز علينا أن نفشي من مكنوناته، في الحقيقة ليس عندنا إلا ما تواصينا بكتمانه ولن نبوح بما يعنيه لمن لا يغنيه.

قلت متحيرًا: لماذا؟

قالت: هذه الحقائق من الأسرار الخفية، ولا يحسن إفشاؤها؛ قد تضر السائل ضررًا بليغًا، ولكن أقول لك: اتبع أثره يطلعك على ما لم يكن في خلدك، اتبعه واصبر تعرف، وسترى بعد ذلك.

قلت: وددت لو تطلعيني على حال من أحوال المحب في هذا المقام الشريف، لقد أخذ بمجامع قلبي ما ألقيت به إلي من مكاشفات، يا حبذا لو أعطيتني إشارة أو أتحت لي فرصة.

قالت: كم أنت ملحاح، قل لي ما معنى قوله سبحانه: «يعبدونني لا يشركون بي شيئا»؟ — سورة النور الآية ٥٥

قلت: يحبونه بإخلاص والله أعلم.

قالت:إنه ذاك وتلك إشارة إلى ما لوحت به إليك من قبل. اعلم أن الفناء في المحبوب مثله كمثل قطعة من سكر صب عليها ما يناسبها من ماء زلال فذاب فيه ولم تعد تراه؛ فإنك لا ترى إلا ماء لقصور الرؤية لكنك إذا ذقته ألفيته حلوا، وهو ذروة المحبة كما قلت لك، ليس بعده قرب أقرب مما هو عليه.

ماذا أقول لك، صفاء ونور، جمال وإشراق، مواصفات تفوق مدارك هذه العقول.

أريج عابق إذا استنشقته غبت و نسيم فائق إذا تخللك تهت.

إذن فلا ينبغي لأهل المحبة أن يظلوا سكارى في فناء مقام الشوق، كما لا ينبغي لهم أن يمكثوا مترددين عند عتبة العشق.

لو يعلم المحب قرب محبوبه منه لطار فؤاده إليه. قال الشاعر:

بفضلك زدني منك قربا وأدنني إليك دنوا لا يغيره الدهر

وقال آخر:

أفنيتني بك عني يا غاية المتمني

أدنيتني منك حتى ظننت أنك أني

وقد يظن بعض الناس أن هذا الكلام ضرب من الشطح ينطوي على قدر من الكفر، ولو أنه ذاق لأقلع عن ظنونه واعتذر لأهل الهوى، وقد صدق من قال: إذا لم تصل يدك القصيرة إلى الثمرة الحلوة يقول لسانك الطويل إنها مرة.

قلت: أنت تقربيني من فهم بعض معاني هذا المقام رغم أنك قلت إنه سر من الأسرار.

قالت: على مهلك أتظن أننا سنكشف لك عن حجبه، ونرفع لك بعضًا من ستره؟ نقسم لك بمحبتنا لك أنه لو كشفنا لك عن حقيقة من هذه الحقائق لانتقلت مما أنت عليه الآن إلى أحوال قد تضل في شعابها لا محالة، ولأننا نحبك فإنا لا نود فقدك بل نود إسماعك ما ستجد فيه إن شاء الله بغيتك. أنصت إلى قول القائل:

ألاحظه في كل شيء رأيته وأدعوه سرًّا بالمنى فيجيب

ملأت به سمعي وقلبي وناظري و كلي وأجزائي فأين يغيب؟

وأرهف السمع إلى قول الآخر:

ألا أيها الوادي الذي فاح طيبه عسى لك عهد من سعاد قريب

وحييت من واد بكل تحية لأنك من أجل الحبيب حبيب

وذق حلاوة ذلك في هذا الرضاب اللفظي:

غابت رسوم شواهدي لما رأيت خيامهم

و فنيت عن بشريتي لما سمعت كلامهم

و عدمت رسم حقيقتي لما شربت مدامهم

قل لي ما قولك في قول القائل:

روحه روحي و روحي روحه إن يشأ شئت وإن شئت يشأ

قلت: هذا حال من غاب بمحبوبه عمن سواه.

قالت: صدقت، وحسبك ما قلت إلا أن كثيرًا من الناس يعتبرونه من باب الحلول، ويصنفون قائله مع أمثال الحسين بن منصور الحلاج رحمه الله.

قلت: جل الناس يأخذون الأقوال من أذيالها مقلوبة ولا يدركون ما ترمي إليه. يحرفون المعاني ويوقدون نارالفتنة معتقدين نصرة عقائدهم و لا يبالون بمن سيقع في الفتنة من العامة أو الخاصة على السواء.

قالت: نعم اكتفوا بظاهر القول فغابت عنهم جواهره، ذرهم و قل لنا ما رأيك في قول الحسين:

مزجت روحك في روحي كما تمزج الخمرة بالماء الزلال

فإذا مسك شيء مسني فإذا أنت أنا في كل حال

أطرقت رأسي حياءً من التعليق على قوله وقلت بعد تأنٍّ: إن الحسين شرب من عين المحبة حتى إذا صار مغمورًا في حالة السكر قال ما قال، مثل هذا الكلام يطوى ويحفظ في أيادٍ أمينة.

قالت: أنت تدافع عنه، لكن ما رأيك في قوله: أيها الناس أغيثوني من الله؟

فإنه اختطفني منه وليس يردني إلي أو علي كما قال، ولا أطيق مراعاة تلك الحضرة وأخاف الهجران فأكون غائبًا محرومًا والويل لمن يغيب بعد الحضوروقوله:

بيني وبينك أنّي يزاحمني فارفع بذاتك أني من البين

وقولهاعلموا أن الله تعالى أباح لكم دمي فاقتلوني، ليس في الدنيا للمسلمين، شغل أهم من قتلي، وقوله:لكن ليس يستتر عني لحظة فأستريح حتى استهلكت ناسوتيتي في لاهوتيته وتلاشت في أنوار ذاته فلا عين لي ولا أثر ولا وجه ولا خبر، من أخبار الحلاج لابن الساعي البغدادي وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي وديوان الحلاج.

قلت: الحلاج رحمه الله لم يطق الكتمان فقد توافدت عليه أسرار إلهية تترى ولم يراع اهتمامًا لنصائح الأحباب بعدم البوح بها ورأى ما لم يروا وتاه، لم يصبر على تحمل ثقلها في قلبه ولم يصبر على البعد و أحب في الختام أن يلقى مولاه بتلك الطريقة وأن لله في خلقه شؤون.

قالت: لقد أساؤوا إليه وافتروا عليه كذبًا وهذه عاقبة من أحب وشهر بحبه. يبقى الحلاج مع ذلك شهيد المحبين خالدًا في ذاكرة كل محب، قل لنا هل لك أن تحكي تجربة عشتها وكان لها أثر في نفسك؟

قلت:سأقص عليكن قصة وقفت على أحداثها وكنت واحدًا من شخصياتها فاسمعني إذن، قالت: كلنا آذان منصتة.

قلت: طار بي الشوق يومًا إلى رياض الأنس، وجدت بجانب عين من عيونه نحلة تريد رشفات من الماء، كنت على غصن شجرة هناك ترمي بظلالها فوق العين.

كنت أقفز من غصن إلى آخر متدرجًا في النزول، كان غرضي الاقتراب من النحلة لأرى جليًّا شكلها وكيف سترد الماء لكن لما أحست بوجودي ابتعدت، تراجعت انا الآخر شيئًا فشيئًا لعلها تعود، تساءلت من أين أتت مع العلم أن رياض الأنس هذا بعيد كل البعد عن عروش النحل، بينما أنا منشغل بمثل هذه

التساؤلات إذ سألتني فجأة: يا فتى من أين أتيت أنت؟

استغربت من شيئين؛ منطقها الذي نطقت به وعلمها بأصلي، أجبتها: أتيت من موطن الغفلات، في الحقيقة سنحت لي فرصة فتخفيت عن الأعين، وبعد ذلك نمت رغمًا عنّي فلما استيقظت وجدتني عصفورًا خفيف الظل.

حلقت بعيدًا واستمررت على هذا النحو إلى أن لاحت لي بوارق من تحتي فعولت على النزول فهذا حالي و السلام. لما اطمأنت على نفسها مني انتفضت انتفاضة تطاير على إثرها رشاش من الماء وأصبت بقطرات منه بللت ريش صدري، لقد انقلبت النحلة بغتة الى صورة لم ترعيني أجمل منها؛ فتاة فاتنة كأنها قدت من فضة مصقولة، آية في الجمال «حجة على من أنكر وبينة لمن افتكر»

سألتني: أأنت من الإنس أم من الجن؟ قلت: بل من الإنس و أنتَ؟ جلست على جذع شجرة ثم أجابتني: أنا من الجن، جئت من مكان قصي من بلاد فارس أبحث عن رحيق لبعض الزهور النادرة وقد قصدت هذا الرياض النائي عسى أن أجد ما أبحث عنه.

تأملتها شيئًا فعلمت أنها حزينة، رأيت ملامح الكآبة مرتسمة على محياها ومع ذلك لم ينقص ذلك من حسنها، سألتها: ولمَ هذا الرحيق؟

أجابت: قيل: إنه ترياق لمرض عضال، ولكن قل لي من أنت؟

قلت لها: أنا لا شيء؛ أحيانًا أرى نفسي من الأموات لا أملك لنفسي شيئًا؛ لا سهم لي، ولا صلة لي بحقيقة من الحقائق، وأحيانًا أخرى أظنني كالحيوان الذي لا يعيش إلا من أجل لقمة طعام أو شربة ماء و كثيرًا ما أسال نفسي من أكون أنا؟ لبثت ردحًا من الزمن لا أعي شيئًا مثل المغمى عليه ثم صرت غريقًا يطلب النجدة، توغلت في الأوحال من رأسي إلى قدمي وطال وقتي على هذه الحال حتى أنني يئست من أي أمل وضاقت حيلتي و خمدت قدرتي ورغباتي وانهدم كل بناء كنت قد أشرفت على إنشائه، مددت يدي ولم يبق لي سواهما لالتماس النجاة.

وفجأة حدث ما لم يخطر على بالي؛ كنت معدوما لا أثر لي فصار لي شأن، هذه

بدايتي وأدعى نور من بني آدم الذين أصابتهم قطرة من رحمته.

قالت: اسمي آية وأبي ملك من الملوك الكبار الذين ذاع صيتهم في البلاد بما عرفوا به من حسن التدبير والانجازات العظيمة. هنا حضرتني القولة المشهورة (كل فتاة بأبيها معجبة). قالت وقد عمر أكثر من ألف وستمائة سنة وهو لايزال حيًا في حالة يرثى لها، ملك البلاد بعد أبيه في سن المائتين، أحبته الجنة لحسن سيرته وعدله وحبه للخير وبعد ألف سنة من حكمه ابتلي بمرض في نفسه أرغمه على العزلة وأعيا الأطباء من معرفته ويئس الأحباب من شفائه، جئناه بكل طبيب مشهور وبكل راقٍ موهوب، لكن بدون جدوى. عاينا الصعاب وقاسينا آلامًاوذات يوم وفد علينا حكيم ذو علم وافر و خلق رفيع. لما دخل على أبي نظر إليه نظرة ثاقبة نفذت إلى أعماق نفسه فارتعش أبي فزعًا وصاح صيحة اهتزت لها أعمدة البلاط، إذ ذاك أدرك الحكيم سبب علة أبي. قلنا له: هل من أمل يا حكيم ؟

قال: الداء خطير والدواء صعب المنال، لكن إذا التجأتم إليه سبحانه وتوكلتم عليه وعملتم بنصيحتي يكون خيرًا إن شاء الله تعالى، قلنا له: هل داؤه معلوم؟ قال ملككم أُصيب في فؤاده بسهم مسموم سمه اختلط بدمه فملك منه كل عضو من أعضائه حتى عقله عقله، قلنا: من فضلك اشرح لنا قولك ،قال: لدغته حية سمها من أخطر السموم كما قال الشاعر:

من لدغت الحية الرقطاء بدنه فلن ينفعه أي دواء نقي حر

والسكر مهما كان حلو المذاق فلن يشفي كالدواء المر

قلنا: كيف؟ قال: لأن سمها لا يقتل في الحين بل يضيق الملدوغ شتى أنواع العذاب ما بقي فهو في الهواجس والآلام حتى حين، قلنا: يا حكيم لم نفقه مما قلت شيئًا

قال: أبوكم أُصيب بنظرة فاشتغل فكره بما لا يطاق وهو الآن يكابد من حرها

وبردها الشدائد، إن التي لفحته ذهبت ولم تولّ الأدبار وقد سألت عنها الأعوان فلم يقفوا لها على أخبار، سألنا الحكيم عن وصفة الدواء الذي وعدنا به فقال عليكم بالسفر إلى جهة الشمال حيث يوجد رياض الأنس، إن به قلة من الزهورالتي فيها شفاء للملكم، استفسرمنه الوزير برهام وهو من أعز وزراء أبي وأرشدهم:

أين رياض الأنس هذا و كيف لهذه الزهور أن تشفي؟ تبسم الحكيم ابتسامة عارف وأجابه قائلا: لا تيأس يا مشير فإن بعد العسر يسرا، أما رياض الأنس فيوجد عند أقصى مشارق الأرض حيث مطلع الشمس، وتوجد به زهور مختلفة الأشكال والألوان وكل صنف منها خلق لحكمة وكل زهرة منه تنادي ولا يسمع نداءها من الأنس والجن إلا محظوظ، فانظروا أيكم المحظوظ. ابعثوا به رسولا إلى تلك الجهات يأتِكم برحيقها و ليرافقه أحدكم لئلا يقع أثناء السفر في مكروه، وقد وقع علي الاختيار للقيام بهذه المهمة.

قلت: عجيب ما حدث لأبيك، أسال الله تعالى أن يوفقك في الحصول على هذا الدواء.قالت: آمين وطلبت مني هل في استطاعتي مساعدتها؟

أجبتها: صفي لي هذه الزهرة، قالت: هي زهراء زرقاء اللون متوسطة الطول، إذا وقع بصرك عليها عرفتها وربما نادتك باسمك، قلت: وكيف لها أن تعرفني وأنا على حالتي هذه طائر محبوس وصغير؟ قالت: ألم تزعم أنك محاط بعناية من الله سبحا نه ؟

قلت: ذاك ظني به سبحانه وعسى ربي أن يتقبل مني ويغفر لي ذنبي ويرضى عني .

قالت: ولمَ لا وهو الرحمان، سبقت رحمته غضبه وهو الرحيم يهب لمن يشاء من المنن ما يسعد النفوس، وتسر به الأرواح، ثم قالت: اذهب أنت من هنا وأنا من هناك وأشارت إلى جهتين متقابلتين الأولى شرقية والثانية غربية.

طرت من ساعتي و كنت أحط على كل شجرة عالية، أطيل النظرفي من حولي؛ عسى أن يقع بصري على ما أبحث عنه .تكرر فعلي هذا مرارًا حتى يئست وتعبت وفجأة رأيت عينا بعيدة يلمع ماؤها بسبب انعكاس أشعة الشمس عليها قصدت المكان فرأيته خلابًا كأنه جنة، شربت وارتويت فبينما أنا أزقزق وأغرد لأروح عن نفسي إذ سمعت صوتًا ذا نغمة جذابة يخرج من بين تلك الأعشاب الموسومة بأزكى الألوان يقول: سبحانك ربنا ما أعظم شأنك، زدنا تشوقًا لتجليات آياتك وتطلعًا لخفايا ألطافك؛ لنحظى بنصيب من معرفتك.

قفزت من موضعي ذاك نحو مصدر الصوت كانجذاب حديدة من مغناطيس، انبهرت مما رأيت؛ زهور زرقاء يأخذ حسنها بالألباب .

وبعد السلام نادتني إحداها؛ كيف و صلت؟ أجبتها بذل و انكسار: تصريف من الحق ولطف منه سحبني إلى دياركم.

قالت: الله أكبر وسألتني أخرى: ومن تكون؟ قلت: أنا نور من أنواره على هيئة طائر أخف من ريشة عندليب، نادتني أخرى وكانت أطول هذه الزهور قامة:

يا نور ألك حاجة فنرشدك إليها؟ قلت: إي والله، فقصصت عليها ما سمعت من آية.

قالت: أبشر، صدق الحكيم وسنعطيكما من رحيقنا ما يكفيكما؛ لأنك إذا اشتد بك الحنين إلى الأوطان فخذ منه ترتد بشرًا، اذهب فأنت طليق، عدت إلى آية وحكيت لها ما جرى فاشتد فرحها وتلاشى حزنها.

قالت: سنسعد غاية السعادة لورافقتنا إلى فارس وسيرحب بك غاية الترحيب. قلت لها معتذرًا: لا يمكنني ذلك؛ لقد تركت ورائي عهودًا يجب علي أن أفي بها ومهامًا تنتظرني وأخاف إذا أنا ذهبت معكم فاتتني فأندم حيث لا ينفع الندم

قالت: إذا كان الأمر كذلك فخذ هذه ورقة إذا احتجت إلي أحرقها وعندها سأحضر إليك حالا بلا تردد.

قلت: هذه قصة اختصرت أحداثها حتى لا أطيل عليكن وهي واحدة من كثير.

قالت: قصة عجيبة ولكن ماذا كان من أمر آية؟ ثم ماذا تعني أنت بالعهود والمهام التي جعلتها ذريعة؟

قلت: أظن أن الملك قد وصله الدواء بسلام فشفي وآية لم أستدعها بعد لعدم وجود داع لذلك، أما العهود فهي التزامات ومواثيق كلفت بها.

قالت: والمهام ماذا تقصد بها؟

قلت: كل من تربطني به قرابة أو صلة له علي حقوق وكذلك نفسي.

قالت: هل تذكر لنا بعضًا من حقوق النفس؟

قلت: النفس كالفرس إن سقتها بلجام العقل استقامت وإن أطلقتها ضيَّعتها فوساوسها كثيرة لا تفضي إلى خير لكن الكياسة والحكمة وما شابهما من الخصال الحميدة هي التي تكسر أشواك نزواتها و تجعلها تحيا حياة نقية، والنفس كالحديدة إن تركتها صدأت و لا يذهب ما تعلق به وما يعلق بها إلا معرفة الله سبحانه؛ هذه المعرفة هي من أجل حقوقها. سكت قليلا ثم سألتها:

وما حقوق النفس في رأيك؟ إن إجابتي لا ترقى إلى المراد.

قالت: لقد قلت ما عندك الآن، وقولك فيه ما فيه لكن حضرتك أشياء وغابت عنك أشياء سأذكر لك منها نصيبًا. قال سبحانه:

«ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكَّاها و قد خاب من دسَّاها».الشمس(٧و٨و٩و١٠)، «إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي».يوسف (٣٥)

«ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد».ق(٦١)

«وجاءت كل نفس معها سائق و شهيد».سورة ق(١٢)«فلا تزكوا أنفسكم هوأعلم بمن اتقي»النجم(١٣)«كل نفس بما كسبت رهينة» المدثر(٨٣) «كلُّ نفس ذائقة الموت». آل عمران(٥٨١)،«ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»، الحشر(٩)،«ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون»،الحشر(٩١)، «من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسًا بغير نفسٍ أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا». المائدة(٤٣)،«واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئا»البقرة(٢٢١)، «لا يكلف الله نفسا إلا وسعها»البقرة(٥٨٢)«ولقد راودته عن نفسه فاستعصم»يوسف(٢٣)«وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى»النازعات(٩٣،٤٠)

الآيات في النفس كثيرة و كذلك في الأحاديث النبوية الصحيحة فراجعها، وتدبر معانيها.وإليها أشار بعضهم بالجوهر المكنون واللطيفة الربانية المودعة في الجسم قال آخرون: هي الأنا التي يقابلها العقل، وقال بعضهم: هي الإنسان بذاته وقال آخرون: النفس طاقة أو قوة محلها كل الجسم تتصرف فيه بكل ما أوتيت من قوة وإرادة ولها أحوال وصفات، قسمها العلماء انطلاقا من الذكر الحكيم إلى ثلاثة أنواع؛ نفس لوامة ونفس مطمئنة وهي أزكى النفوس ونفس أمارة بالسوء وهي أخس النفوس، أرايت؛ الأقوال في النفس كثيرة، ومن حقوقها تهذيبها وتزكيتهاولا يتم ذلك إلا بمعرفتها ومن حقوقها تذكيرها بصفات الله و أسمائه وتلقينها محبة الله ولا يتم ذلك إلا بإخلاص النية في البدايات و تجريد القصد إلى الله سبحانه حتى لا ترى في النهايات سواه، وقد حار كثير من الدعاة في ماهية النفس ولا يعرفها إلا من اختاره سبحانه واجتباه .

قلت: هل هي والروح شيء واحد؟

قالت: لا قطعا فالنفس بالنسبة للإنسان كالبصمات بالنسبة للأطراف؛ بها يعرف،وكل امريء و نفسه فهي المكلفة و المسؤولة التي ستسأل و تحاسب حين توضع موازين القسط يوم الحساب فحاسبها قبل أن تحاسب،اقرأ معي

قوله سبحانه»: و إذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين»الأعراف-٢٧١أما الروح فهي من أمور الله الخفية وهي ليست مثل البدن مادة أو مزيج من مواد كالماء والتراب؛ بل هي سر من أسرار الله تعالى وآية من آياته القدسية ولولا هذه الأرواح ما كان لك إحساس ولا شعور ولا أفكار، وما رأيت الناس على سبيل المثال يتحركون ويمشون في الأ سواق.و الروح من الغيبيات حجبها سبحانه عن الإدراك؛ فلا سبيل لمخلوق نفخت فيه روح أن يحيط بعلمها لقوله تعالى:

«ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا» الإسراء – ٥٨ وكلمة الروح كما تعلم تطلق أيضا على كل كتاب أنزل على رسول وتطلق كذلك على الملك جبريل عليه السلام والله أعلم به، واعلم أن حياة الإنسان لا تحدث إلا بحلول الروح فيه وإن فارقته يكون موته لا موتها وفي هذا المعنى قال ابن سينا رحمه الله في عينيته المشهورة:

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

محجوبة عن كل مقلة عارف وهي التي سفرت ولم تتبرقع

وصلت على كره إليك وربما كرهت فراقك وهي ذات توجع

أنفت وما ألفت فلما واصلت أنست مجاورة الخراب البلقع

هذا فافهم وسنعود إن شاء الله تعالى للحديث عن النفس و الروح فيما بعد أما الآن فدعنا ساعة نتوجه إلى المولى سبحانه لنذكره بآلائه فنحن لا نحيا إلا بذكره وبعدها نعود، والسلام على من اتَّبع الهدى.

تم الجزء الأول بعون من الله سبحانه و يليه الجزء الثاني إن شاء الله تعالى وصلَّى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

أصيلة في ١١نوفبر ٢١٠٢م

الجزء الثاني بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ليس كمثله شيء المتفرد بالكمال والجلال المتنزه عن أوصاف الحدوث والأشباه والأمثال الموصوف بالعلو والعظمة والعزة والشأن، له الاسماء الحسنى والصفات العلى بديع السماوات والأرض خالق كل شيء و مليكه،و فالق الحب والنوى الذي أودع في كل مخلوق من بدائع جوده و صنعه، وأنطقه بتحميده وتسبيحه وبعث في الأميين رسولا رحمة للعالمين و سراجًا منيرًا،،الصلاة و السلام على سيدنا محمد الرحمة الواسعة و الدرة الفاخرة، والسر المكنون والكنز المصون وعلى آله وصحبه العثرات الطاهرة و النجوم اللامعة أما بعد، فهذا المقال هو الجزء الثاني لمقالات الزهور، وهو يشتمل على شذرات من إفصاحات تلك الزهور عن نبذة من حقائق عرفانيةو كلمات زهرانية، نلحقه بالجزء الأول والله الموفق و به نستعين و هو أرحم الراحمين.

* * * *

كنت في تلك الحديقة أنا وباقة الزهور أسألها فتجيبني وتسألني فأجيبها، قلت: ما الحب إلا رشفات وما الشوق إلا تنهدات وما العشق إلا زفرات وكل هذه الأحوال ما هي إلا هبات.

قالت: ما بالك لا تفتر عن ذكر المحبة؟

قلت: ذكري لها ذهب بكل ذكر إلا بذكر من أهواه أنا.

التفتت إلى صويحباتها قائلة: إن عزيزنا هذا نصف عقله ذهب يقول إنه من أهل المحبة وإنه قد سمع وما سمع وإنه رأى وما رأى، ربما هبت عليه نسمات من تلك الجهات فاستنشق شيئًا من فوائح الجمال أو طاف عليه طائف من تلك الحضرات فنفث في روعه إلهاما فحرَّك سكونه و بدد شجونه.

أي صاحبنا نوصيك عندما تقضي منا أوطارك وترى ذبولنا بين يديك ارم بنا إلى هذا البحر الذي تطل عليه الحديقة لنموت فيه غرقى حيارى عسى ربنا يتقبل

obeikandl.com

أرواحنا فيزين بنا بعض جنبات جنانه لأحبائه يوم لقائه.

قلت: ن أصبر على فراقكن وماذا أفعل بعدكن وخصوصًا إذا افتكرتكن؟

قالت: المرء مع من أحب؛ الأشباه من مخلوقات الله تعالى تتجاذب و تتعارف لكن أنت تعلم أن بعد هذا الفراق لقاء فلا تعذبنا بحزنك علينا وادع لنا بخير عند ربك. قل لنا الآن ما العرفان؟

قلت: كنت شاهدًا لصفات جليلة وعارفًا بعد علم لأسماء رفيعة ذات معانٍ عزيزة فنسيتها بعد طمس وغياب ، كان ذلك فيما مضى عند فصل الخطاب. أما الآن فكلما تعرضت لنفحات من ذكراها حصل لي عرفان.

قالت: عبارتك تشير إلى جميل اعتقادك وما الإنكار؟

قلت: هو الصدود؛ قال تعالى --- «أو لم ير الإنسان أنَّا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين» ---سورة يس الآية ٧٧ ---

وقال سبحانه ---»فبأي آلاء ربكما تكذبان». ---سورة الرحمن الآية ٣١ ----

والصدود هو النظر إلى المحسن بعين الجفاء والركون إلى دار الفناء و الإعراض عن دار البقاء.

قالت: قالوا عن العرفان إنه الاعتراف بالجميل وشكر صاحب الفضل وصانعه وقالوا» إنه علم رباني يهبه الله تعالى لمن خصه بأنوار هدايته وهو درجات على قدر أنواره، و قالوا إنه المعرفة بذاتها وإنه عبادة الله بحب؛ وهذه المرتبة لا تتحقق إلا للأصفياء من عباده وهم قليل، وقالوا إنه معرفة الحقيقة باتباع الطريقة.وقالوا: هو المشاهدة ومكاشفة قلوب الأبرار ببعض غيب علام الغيوب ليزدادوا

يقينًا به واعترافا بما له.

و كل هذه التعريفات هي مقدمات و تلميحات لا أقل ولا أكثر وقد صدق من

obeikandl.com

قال: إذا اتسعت الرؤية ضاقت العبارة ---من كلام النفري في كتابه المواقف والمخاطبات ---ونحن نقول: العرفان هو تعريفه إياك بما عرفه لك من سبق عنايته بك وما افاضه عليك حتى صرت به تسمع وترى مع العلم أنك كنت لا شيء.

قلت: حيرتني طلعة من طلائع جماله فطربت.

قالت:هيهات هيهات، بل ضيعت جل عمرك في النظر إلى صور دون فوائد

وفي الاستماع إلى أصوات بلا تواجد فقلت ما قلت؛ إن الجمال إذا لاحت لك منه علامة أو مشاهدة تولهت، ربما تهت وربما سكنت نفسك واطمأن قلبك وربما غبت، أما قولك فطربت فهو لا يدل على أنك اطلعت حقيقةً على تلك الطلعة بل توهمت أو بدت لك إشارة فانتشيت هنيهة ثم نسيت.

قلت: هل عندكن علم به؟ أخبريني بدق من دقائقه أو بحد من حدوده عسى أن انتبه. قالت: من منكن تجيبه؟

قالت زهرة وردية اللون معتدلة القد ذات أريج: لو صادف عاشقا مغمى أفاق

في الحين أو مرَّ على مجلس أحبة أسكر من كان فيهم. قد أعطيك جوابًا يطمئن به قلبك لكن أخاف عليك من إفشائه لغير أهله فيرمونك بالكلام القبيح ويرشقونك بألسنة حداد.

قلت: إن شاء الله ستجدينني حافظًا لكلامك، لا أبوح به لأحد إلا للذي هو أهل له.

قالت: حبذا لو تفي بعهدك. اسمع، الجمال مطلق في معناه يتعذر تحديده لأن العقول لا يمكنها أن تدركه، سأقص عليك أخبارًا في هذا المعنى لتفهم؛

قال أحدهم: الجمال كمال في الأوصاف وتمام في المحاسن تميل إليه النفس بقواها مثلما تبحث عن شيء نفيس لا مثيل له.

و قال آخر: الجمال أنواع؛ صنفان منه هما السائدان؛ الجمال الحسي و الجمال

الروحي

وهذا يشبه قول بعض الفلاسفة على أن هناك جمالا طبيعيًا وآخر مثاليًا وتابع قوله: إن الجمال الحسي تقيده تصاريف الزمان وتغيرات المكان وماله الى زوال.

بعد حسن و دلال يأتي خريف برياح عاتية فيذهب برونقه وبهائه لتحل محله مظاهر على عكس ذلك الحسن وتغيب شمسه كليًا بالزوال.

أما الجمال الروحي فهو بموكبه الفاتن خالد أبدًا لا يؤثر فيه زمان أو مكان .

وقال آخر له علم به: الجمال جميل بذاته لا يدرك معنى من معانيه إلا جميل.

ومن مواصفاته التوافق والتناغم والإتقان والإبداع ومواصفات أخرى أجل وأعظم شأنًا.

وقيل: الجمال هو صفة من صفات الروح الطيبة النورانية تدركه بقواها الروحية وتجد بإدراكها له لذة لا توصف.

و سمعت أحدهم يقول: رأيت جمالا حين رأيته يتمايل بزينته فمر بطلائعه الباهرة أمام عيني وتجلى لي بجلاله الفاتن ولسان حاله يقول: أنما أنا فتنة فلا تنسَ الله ولا تغفل عن ذكره وأنا خطاب إليك من منبر من نورٍ أحمل في سطوري من بديع صنعه وصنيعه درًا لكي تحبه آه ثم آه.

قالت: وكل هذه الدلالات ما هي إلا إشارات وقد صدق من قال: وإذا ضاقت العبارة فلا دليل عليه إلا بالإشارة .

قلت: هذا قولك وماالجمال في اعتقادكن؟

قالت هذه الزهرة: أختاه هل تتفضلين بالإجابة؟

قالت الزهرة الحسناء: عجبًا، ما بالك أنت لا تكتفي بما قيل لك!

قلت: نفسي تواقة كلما أشرفت على بساط أو اطلعت على منزلة زاد تشوقي

وهذا عيبي فاعذرنني .

قالت: كتاب حياتك نراه مليئًا بالاشتياقات وهي تكاد أن تكون شوقًا، سألتنا عن الجمال ما هو؛ سننشر لك منه بساطًا تنبسط نفسك لمعرفته فتهيأ لسماعه

الجمال روح وريحان، له ظاهر وهو ما يشاهده بصرك بعد حب و تسعد روحك برؤيته بعد وجد و له باطن وهو ما ظهر لك من تجليات أنواره ولطائف أسراره وأخذت بصيرتك منه حظًّا وقلبك زاد به نورًا وازددت به رفعة و بهاء. الجمال فيض من فيوضات الجلال والعظمة يشبه في مثاله خمرة المحبة فافهم؛ الجمال نور إذا بدا افتتن به من رآه وغاب به من حضره و لوامعه تبعد ك

من ظلمات نفسك وتقربك من مواطن القرب وإذا تحققت به صرت جميلا

حينها ينقش اسمك في ديوان الأصفياء والله يهدي من عباده من يشاء و هو الكريم

الوهاب الحنان المنان.هذا ما عندنا الآن ولا نريد أن نطيل عليك.

قلت: قد أيقظتني تنبيهاتك من سبات عميق وشغلتني إشاراتك وأحيت في قلبي

نبتة الأمل التي كانت قد ذبلت من أمد بعيد وإني لأحس باقتراب بزوغ بدر الكمال من ناحية هبوب نسيم الشمال ولا أدري كيف أقوى على تحمل محاسن هذا الجمال.

قالت: ذكرتنا بحال من أحوال من قال:

كانت لقلبي أهواء متفرقة فاستجمعت إذ رأتك العين أهوائي

فصار يحسدني من كنت أحسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي

ما رأيك في هذا النظم؟

قلت: إن للنفس أهواء لا تستطيع مفارقتها لكن إذا أحبت نفسًا أخرى غلب هذا الحب الأهواء الأخرى فتصير النفس تابعة له كظله، و يكون الذي كانت تتمنى مكانه بالأمس ترجوه لنفسها مع نية زواله وانتقاله من هذه إلى تلك .

قالت: و ماذا ترى هذه النفس في النفس التي مالت نحوها وانعطفت إليها حتى أحبتها.

قلت: النفوس كالطيور تتجاذب وتتنافر بقدر حبها أو كراهيتها ومثلها أيضًا كالحمام يحط تارة عندما يشعر بالأنس والأمان والود ويطير فجأة إذا أحس بخطر ما أو بطارق لا يطرق بخير.

فالنفس إذن لطيفة ربانية مفعومة بالمحبة وحب المعرفة تواقة إلى حب النفوس الطيبة وإن مالت إلى نفس فلأنها تجد نزعة في ذلك ويدخلها السرور بقربها منها

وقد تعجب نفس بأخرى بما تمتلكه من سحر كما قال الشاعر العباس بن الأحنف:

أفسد قلبي شادن أحور يسحر بالعينين والثغر

أو كما قال الشاعر ابن الرومي:

سحرته بمقلتيها فأضحت عنده والذميم منها حميد

خلقت فتنة غناء وحسنًا ما لها فيها جميعًا نديد

فهي نعمى يميد منها كبير وهي بلوى يشيب منها وليد

سد شيطان حبها كل جِ إنَّ شيطان حبها لمريد

لا يدب الملال فيها ولا ينق ض من عقد سحرها توكيد

حسنها في العيون حسن جديد فلها في القلوب حب جديد

قالت: كفاك، هذه إجابة مقبولة منك لكن قل لنا أللحبِّ سحر؟

قلت: إي والله سحره أقوى من السحر المحظور، سحر الحب يتجلى فيما يتصف به المحبوب من جمال في المفاتن والمحاسن والبيان، فإن قلت محاسن فهي بدائع وفضائل وإن قلت بيان فهو كلام جذاب وسحر الكلام الذي يستهوي النفوس ويستولي على القلوب ويجعلها في الأسر.

والعيون لواحظ تقول وتحكي بدون لسان وتشير وترمي بدون أصابع أو أيادٍ

وتلمز وتغمز بالجفون وفي ذلك فتنة فكم من قتيل كان سببه إصابته بسهام العيون كان بالأمس سليمًا فأصبح يجر نفسه جريحًا تارة يسقط وتارة أخرى ينهض فلما

نفد ما عنده قضى نحبه.

قالت: أللعيون سهام؟

قلت: إي والله سهامها أنواع كأشكالها وألوانها فمن العيون الصغيرة و الكبيرة والجاحظة والغائرة والحوراء والكحيلة والضيقة والواسعة، قد يغلب عليها لون السواد أو الرمادي ومنها أيضا الزرقاء والخضراء فسبحان البارئ.

والعين من أخطر الحواس وأرقاها؛ إذ بها يحصل من جهة جل الخير كالمعرفة في بداياتها واستطلاع الأمور الهامة وغض البصر زينتها ومن جهة أخرى جل الشر كإطالة النظر إلى عيوب الناس وأحيانا إطلاق عنانه إلى حد الزنى والحسد والذي يعميها الافتتان بخضرة الدنيا وزينتها.

وهي أيضا رسول مكين من رسل الحب وفي إسبالها أوفتورها جمال تستشعر من حركاتها رضى و حياء وفي هذا المعنى قول ابن المعتز

قد صاد قلبي قمر يسحر منه النظر

وفي نفس المعنى أيضا أبدع جرير بقوله:

لقد تكتمت الهوى حتى تهيمني لا أستطيع لهذا الحب كتمانا

إن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

حقًّا إن للعيون سهام إذا انطلقت نطقت وإذا أصابت نصبت وكثيرًا ما تصيب.

وفي تزيين الأسواق للشيخ داود الأنطاكي -- مصدر الكتاب مكتبة الوراق الصفحة -٥١١ ما هو قريب من معناه

خرجت أصيد الوحش صادفت قانصًا من الريم صادتني سريعًا حبائله

فلما رماني بالنبال مسارعًا رقاني وهل ميت يداويه قاتله

ألا في سبيل الحب صب قد انقضى سريعًا و لم يبلغ مرادًا يحاوله

و هذا النظم لزرعة بن خالد العذري قاله في جارية حين أبصرها سقط مغشيًا عليه فقامت إليه ورشت عليه الماء، فلما أفاق وأبصرها ثانية قال: وهل مقتول يداويه قاتله؟! و كان قد خرج للصيد فصادته.

ولخالد بن يزيد الكاتب في هذا السياق قوله:

إن تك عيني أبصرت فتنة فهل على قلبي من عتب

حسبيك الله لما بي كما أنك في فعلك بي حسبي

و للسراج القارئ في مصارع العشاق ما نصه:

قد زاد في حبي لها بلبالي لحاظها أمضى من النصال

ترمي القلوب ثم لا تبالي من قتلت هوى من الرجال

و قال آخر وقد ذكره الأبشيهي في المستطرف ج ٢ الصفحة ٣٧١

ولم ينسبه لأحد معروف:

لو أن قلبك لي يرق ويرحم ما بت من ألم الجوى أتالم

ومن العجائب أنتي لا سهم لي من ناظريك وفي فؤادي أسهم

وأختم بقول أحدهم: ---المستطرف ج٢ ص٣٧١

عبث النسيم بقده فتأودا وسرى الحياء بخده فتورَّدا

قالت: هذا حسن وهو يفي بالمقصود.

قلت: تسألينني عن أشياء أنت أعلم بها مني فلماذا تحبين إجابتي وهي لا ترقى إلى معشار إجاباتك.

قالت: لا، إن إشاراتك تدخل السرور إلى قلوبنا وتؤنسنا كما تأنس الروح بذكر الأحبة.

قلت: هل تتفضلين بإفادات في هذا الشأن ليطمئن بها قلبي؟

قالت: ---»ألا بذكر الله تطمئن القلوب». --- سورة الرعد الآية ٨٢ ----

نعم سأجيبك على سؤالك بتيسير منه سبحانه.

أما محبة الإناث فهي نابعة من محبته سبحانه فهي تحصل في البداية عن طريق النظرأوالإلهام رؤية كانت أو خيالًا، وقد تحدث عن طريق السمع إلا أنَّ الخبر ليس كالعيان.

إنَّ الحب إذا وقع يحدث في النفس هيجانًا ويدفعها إلى خوض بحارلا يعبرها إلا ذو حظ وعناية.

إنَّ الحب كالسراج قد يعمي وقد يهدي، والعلة الأولى للمحبة تكمن في سريان الطافه وبزوغ شموس أنواره وتجليات درر جماله وبهائه في مخلوقاته وخصوصًا فيما أودعه سبحانه في هذه النفس من الخيرات كحسن الخلق وجمال الصورة.

قال عمر بن الفارض رحمة الله عليه في قصيدته الأولى سائق الأظعان من ديوانه طبعة دار صادر بيروت:

قوت روحي ذكرها أنى تحو ... ر عن التوق لذكري هي هي
لست أنسى بالثنايا قولها ... كل من في الحي أسرى في يدي
سلهم مستخبرًا أنفسهم ... هل نجت أنفسهم من قبضتي
فالقضا ما بين سخطي والرضى ... من له أقص قضى أو أدن حي
خاطب الخطب دع الدعوى فما ... بالرقى ترقى إلى وصل رقي
رح معافى واغتنم نصحي وإن ... شئت أن تهوى فللبلوى تهي
وبسقم همت بالأجفان إن ... زانها وصفا بزين وبزي
كم قتيل من قبيل ما له ... قود في حبنا من كل حي
باب وصلي السأم من سبل الضنى ... منه لي ما دمت حيًّا لم تبي
فإن استغنيت عن عز البقا ... فإلى وصلي ببذل النفس حي

وقال بعد ذلك في القصيدة الثانية:

يارامًيا يرمي بسهم لحاظه ... عن قوس حاجبه الحشا إنفاذا

و بعده في نفس القصيدة:

قد كان قبل يعد من قتلى رشا ... أسدا لآساد الشرى بذاذا
أمسى بنار جوى حشت أحشاءه ... منها يرى الإيقاد لا الإنقاذا
حيران لا تلقاه إلا قلت من ... كل الجهات أرى به جباذا
حران محني الضلوع على أسى ... غلب الأسى فاستأخذ استئخاذا
دنف لسيب حشى سليب حشاشة ... شهد السهاد بشفعه ممشاذا

obeikandl.com

إلى آخر بيت منها وهو:

قال العوائد عندما أبصرنه إن كان من قتل الغرام فهذا

وهذا شيء قليل من فعال الحب في أحبائه، ولا غرو أن ترى أو تسمع أكثر من هذا لو أنك أقحمت نفسك في أحضانه أو تتبعت أخبار المحبين.

وللمحب في بدايته نفس خفيفة كالفراش ينقاد إلى مصدر الضوء حتى يحرقه

وقيل في هذا المعنى: لهيب الخد حين بدا لعيني هوى قلبي عليه كالفراش

فأحرقه فصار عليه خالا وذا أثر الدخان على الحواشي

ولا أقول لك إن الحب الذي نتحدث عنه عبارة عن مجموع شهوات حيوانية

أوسلوكات نفسية دنيئة تحط من قيمة المحبين ولا اقول لك إن الحب دافعه هيجان النفس وغايته ممارسة الجنس فهذا ليس حبًا بل سلوك بهيمي يخجل ذو لب من اعتقاده ويطرحه مع الأزبال في مكان سحيق وبئس المصير.

حبنا مثله كمثل باقة من خيرة الأزهار فوائحها تحيي القلوب إذا استنشقها العليل شفي أو عرضتها على غافل انتبه أو لامست نائمًا أفاق.

قلت: تكون غاية هذا الحب هي الوصال كما يقال.

قالت: لا إن غايته هي الوصول، بينما الوصال هو في اعتقاد الأصاغر ليس إلا هؤلاء ليس لهم نصيب إلا غبار قد انتثر.

إن اصحاب الوصال وصوليون أعماهم الطمع وأفسدتهم الشهوات فلا وزن لحبهم الوضيع وهو يقع ويزول ويعقبه الندم، أما أصحاب الوصول فهم المحبون حقًا وحبهم يحصل

ويصل ثم يبقى، وفي مثل هذا المعنى من الحب النقي قال ابن الفارض رحمه الله في ديوانه:

جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي فأصبح لي عن كل شغل بها شغل

فنافس ببذل النفس فيها أخا الهوى فإن قبلتها منك يا حبذا البذل

فمن لم يجد في حب نعم بنفسه ولو جاد بالدنيا إليه انتهى البخل

وقبله في نفس القصيدة –قصيدة هو الحب---

فإن شئت أن تحيا سعيدًا فمت به شهيدًا وإلا فالغرام له أهل

فمن لم يمت في حبه لم يعش به ودون اجتناء النحل ما جنت النحل

نوصيك إذا أحببت أنثى فأحبها في الله واعلم أن حبك هذا هو من حبه.

هذا ولا نريد أن نكثر عليك من الأقوال فتمل.

قلت: كيف أسأم ؛حديثك ينعشني، زدني منه طربًا.

قالت: أتدري ما الطرب؟

قلت: عسى أن يكون الطرب هو اهتزاز النفس أو القلب وتواجده بما يتلقاه.

فسماع الغناء الجميل بالصوت الحسن والأشعار المليحة طرب وتزداد حدته إذا صدر من وجه جميل يستحيي السامع والناظر من إطالة

النظر إليه. قال تعالى: --» تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون» -- . البقرة -٧١١

وبسببه ترقص الأطراف وتهيج العواطف بعد إيقاظها ويدب في الأوصال إكسير من أكاسير الوجدان فلا عجب إذا غشي عليه أو وقع فيما لا تحمد عقباه.

وأقل درجات الطرب الدهشة وبعدها الحيرة وفوقها البهجة.

قالت:طربك هذا يظل تعريفه داخل دائرة مغلقة كسمكة جميلة تسبح في إناء من زجاج شفاف، حبذا لو خرج إلى ما وراء الدائرة.

قلت: وهل للطرب معانٍ أخرى ؟

قالت: حقيق علي أن أذكرك ببعض معانيه الباقية لكن الذي قلته عنه آنفًا يظل من افتتاحيات ما سننثر لك من دره.

ألا ترى إلى الحمام كيف يمشي الهوينا أو إلى العندليب كيف ينتفض عندما يبلله القطر،ألا اترى إلى طول انتظار الحبيب لمحبوبه وما ينبعث منه من الأشواق؟!

ألا ترى إلى تناثر أنوار الياسمين عند هبوب رياح الصبا عليها؟!

ألا ترى إلى شمس الربيع كيف تطلع وترسل بأنوارها إلى أبعد مكان لتبتهج بها نفوس الأحبة وتغرد على إثرها أندر الأطيار؟!

انظر إلى قدوم موكب الربيع وما يحمله من الرياحين والألحان قال الشاعر البحتري رحمه الله:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكًا من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وانظر إلى الأشجار الرطيبة إذا هبت رياح كيف تلتف أغصانها الناعمة كتعانق الحبيبين عند اللقاء.

وهذا يطول فهل فهمت قصدي؟

قل لي، هل استمعت إلى آي القرآن؟ طربه غاية الطرب؛ هو الدر عينه وهو جلاء العيون وحياة القلوب وبهجة الروح، فلا طرب ثمة حقيقة إلا طربه،فاقرأ منه بتدبر

وتغنَّ به تعلم صدق قولنا.

قلت: صدقت، سأبكي لوحدي وأنتحب، سألت عن الأحبة فقيل لي جئت متأخرًا لقد ذهبوا من هنا في موكب لا يوص، كيف لي أن أطرب في حضرتي حيث لا حول ولا قوة لي وقد غابوا عني في غيبتي .

قالت: لا تأسفن على ما فات و اغنم مما هو آت.

هل تحكي لنا حكاية تتسلى بها؟

قلت: كنت ذات يوم في سياحة فمررت بمقبرة هناك لأعتبر من دروس الزمان وأنظر كيف يحصد الموت الأحياء ويهدم لذاتهم، ويفرق جمعهم أو لعلّي أقف على أثر يكسبني علمًا.

بينما أنا جالس قرب قبر عند شجرة زيتون قديمة أدعو لعموم المسلمين الأموات وأسال الله سبحانه النجاة لهم ولنا إذ سمعت صوتًا ضعيفًا كأنه أنين.

التفت ورائي فإذا هو شاب نحيل الجسم أسمر البشرة، أسود شعري الرأس واللحية، جميل الخلقة رث الثياب، ظننت أنه ليس من أهل هذا الزمان يعني لا صلة له بدنيا البشر كما نقول عن المرء إذا عزف عن الدنيا وزهد فيها ؛ فحاله مثل ذلك، يقف وفي إحدى يديه سطل صغير من القصدير يكسوه الصدأ، لم أعلم ما بداخله ظننته مبخرة وفي اليد الأخرى عصا أطول منه قليلا كثيرة الشقوق، ما يدل على أنها قديمة من الخشب الجيد. كان هذا الشاب حافي القدمين، دامع العينين، تأملته مليًا فعلمت أن الذي أطمع في تحصيله مصيره إلى فناء، أمَّا الذي يطلبه الفتى فغالٍ وباقٍ أبدًا.

سمعته يقول بصوت خافت: حبيبي أنتَ المراد، أنت الذي من عرفته بنور من أنوارکذاب قلبه شوقًا إليك، مولاي أنت الذي من أحببته فاز بكل شيء.

وقال كلامًا مثل هذا لم أحفظه، بعد ذلك صاح وارباه إلى متى هذا البعد مع كل هذا القرب؟ إن قلبي يحدثني أن حبك سيفتنه.

لم أدر كيف فاضت مقلتي دموعًا، كنت من قبل أشكو إلى ربي كثرة ذنوبي وقساوة قلبي وفتنة المحيا، لكنني وجدتني في هذه المقبرة وقرب هذا الفتى أضحك

من هوان كل شيء مع رؤيتي لرحمة ربي ولطفه.

قصد الشاب تلك الشجرة فجلس على جذر من جذورها المترامية فوق صخور هناك التفت يمينًا كأنه صحا من سكرة، رآني غير بعيد منه، صمت هنيهة ثم بادرني بالكلام سائلا إياي من أكون قلت له: أنا فقير عابر سبيل، نظر إلي نظرة

خيل إلي أن قلبي قد انشق واطلع على ما فيه، لاحظت ابتسامة ترتسم على وجهه بصعوبة. قلت في نفسي: هذا رجل لم يبتسم منذ وقت طويل، قال: اسمع يا طالب الخلاص في دنيا البلاء شمرعن ساعد الجد واعتصم بحبل الله ومن يتوكل عليه

فهو حسبه واقتف أثر الحبيب تصل.

قلت: أوصني قربك الله إليه. قال: عليك بالإخلاص إن كنت تريد الخلاص.

تزين بزينة الإيمان والإحسان وصن لسانك عن ذكر عيوب الناس إلا عن عيوبك وطهر قلبك بذكره تفلح .

قلت: جزاك الله أحسن الجزاء، قال لا تنس ربك، وذهب وهو ينشد أبياتًا لأبي العتاهية رحمه الله:

مالي مررت على القبور مسلمًا قبر الحبيب فلم يرد جوابي

لو كان ينطق بالجواب لقال لي أكل التراب محاسني وشبابي

نهضت بعد ذلك أتتبع خطواته لكن دون جدوى لم أجد له أثرا.

قالت: لقد نصحك الفتى من خلال هيئته وكلامه، هؤلاء الشباب يظنون المقابر منازل الأحياء لاغوغاء فيها ولا نزاعات بينها الحواضر و البوادي هي مواطن الأموات والفتن، فهل تستوي الأسواق والمنابر؟

قل لنا هل تحدثنا حديثا في الخواطر؟

قلت: حكى لي بعض الأخوان عن أحدهم قال: وقفت على عتبة باب من أبواب الكريم المنان وهو باب الكرم والمنة؛ باب لا حد له، كله أنوار، وجدت عنده قوما كالبدور منهم القاعد ومنهم القائم وجميعهم على هيئاتهم ذاكرون.

هفا قلبي طربًا بهم، رأيت عليهم ثيابًا تبهر العقول زينة؛ كانت حللا تفوح منها روائح عطر المحبة، أحببتهم من قبل حين سمعت بأوصاف لهم ووقفت على أحوال لهم، لكنني لمَّا رأيتهم على هذه الحقيقة لم أشعر إلا بانجذاب قلبي نحوهم .

أتذكر أني لم أتمالك نفسي حيث دمعت عيناي وامتزجت دموع الخوف والرهبة بدموع الرجاء والرغبة في الوصول إلى حضرة المحبوب.

قال قائل منهم بصوت رخيم: تفضل بالدخول، الآن اطمأنت نفوسنا برؤيتك.

قال آخر: هنيئًا مريئًا، كم طال انتظارنا لك. وخرج كلام رشيق من إحدى جنبا ت

ذاك المقام البهيج كما يخرج العسل من شهده بسبب كثرة محاسن ألفاظه وقوة سطوع أنوار معانيه ومنه.. اعتقدنا من طول غيابك أن لن تعود إلينا و لن نراك بعدها.

ومنه كذلك.. قيل لنا: لا تستعجلوا قدومه فإنه مقبل عليكم بعد حقب من الدهر جد طويلة وإن عجلتم فكأنه غير قادم.

ومنه أيضا.. نقش حبك في قلوبنا من قبل أن نراك وخبرنا بشأنك من قبل أن ترى

عيناك نور الكون، فنحن هنا لا حديث لنا بعد ذكره إلا عنك.

لما سمعت مقالاتهم التي لم تخطر على بالي وحيث أني رهيف المشاعر

قليل من مثل هذا المقال يبعث في خواطري كثيرًا من الأفكار، جلست بسبب ضعف يصيبني من حين إلى آخر على أريكة كانت عن يميني كلها مكسوة بالزهور الفائقة

الجمال، علمت أنه قد أصابني الذهول مما جرى.

هنا توقف الأخ عن الكلام وقال لصاحبه: إن كنت تود معرفة ما جرى فعليك بالانتظار إلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى، فإنَّ لي موعدًا تشتاق نفسي إليه

و تمثل بأبيات للحلاج رحمة الله عليه

أحرف أربع بها هام قلبي وتلاشت بها همومي وفكري

ألف تألف الخلائق بالصف ح ولام على الملامة تجري

ثم لام زيادة في المعاني ثم هاء بها أهيم وأدري

ثم سلم و مضى. قالت:عجيب، حبذا لو يعود بعد موعده ويحدث صاحبه فتنقله أنت إلينا

فإننا لانحيا إلا بذكر من نهوى.

قلت: سألتني عن الخواطر، فما هي ؟ أفيديني لطف الله بكن.

قالت ..نعم ، الخواطر واردات تفد على القلوب فإذا كان واردًا ربانيًّا فهو خير قال تعالى ---»ومن يهد الله فهو المهتد»--- الإسراء الآية ٧٩

أما إذا كان واردًا شيطانيًّا فهو شر، قال تعالى ---»ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونهم ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميًّا وبكمًا وصمًّا»

نفس السورة ونفس الآية.

فإذا كان الذي خطر في قلبك نور فهو هدي، قال الله عز وجل:---»فمن يرد اللهأن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًّا حرجًا

كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون»---

الأنعام الآية ٥٢١

فخواطر الحق خفاقة وهي نفحات وخواطر الباطل منكوسة وهي ضلالات

فالأولى هبات والأخرى شرارات.

سألت الخاطر من أين أتيت؟ قال: جئت من فوق بنبأ يقين وسألته لماذا؟ قال: شوقا إليك، وسألته كيف؟ قال: لا أدري غير أنه حركني فطرت نحوك، وأنا أمر وإن شئت قلت كلمة جئت حاملا إليك رسالة، قلت: ما فحواها؟ قال: في مستهلها بسم الله الرحمن الرحيم، وفي أواسطها إرادتي سبقت إرادتك وفي أواخرها لأنني أحبك وقبل السلام

ولولاه ما خلقتك .

و هذه الخواطر أصناف كالعصافير؛ كل عصفور ولونه وطيرانه وتغريده.

ولها عناوين تعرف بها؛ فمثلا من الخواطر ما يكون عنوانها لا تنسني أو معاتبة

وهذه العناوين كالأسماء جلها يوافق مسمياتها يعني الاسم يشير إلى المسمى من حيث المعنى

قال ابن الفارض رحمه الله:

ولي همة تعلو إذا ما ذكرتها ... وروح بذكراها إذا رخصت تغلو

جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي ... فأصبح لي عن كل شغل بها شغل

وقال الشيخ أبو عبدالله الشوذي الحلوي رحمه الله:

إذا نطق الوجود أصاخ قوم ... بآذان إلى نطق الوجود

وذاك النطق ليس له انعجام ... ولكن دق عن فهم البليد

فكن فطنًا تنادى من قريب ... ولاتك ممن ينادى من بعيد

وقال عبد الكريم الجيلي رحمه الله في عينيته:

صعدت معاني طور قلبي مناجيًا لربي حتى أن بدت لي لوامع

فخلفت أهلي وهي نفسي تركتها وجئت إلى النور الذي هوساطع

هذا ولم نذكر لك من الخواطر إلا ما بدر منها.

قلت: من فضلك هل توضحين لي شيئًا من هذه المعاني فإني امرؤ بطيء الفهم كثير النسيان .

قالت: اسمع مني وافهم، فليس كل كلام مبهم، قد يكون الوارد شديد الوطأة على قلب رطيب به ميل نحو المطالب العلية، ولا يخفى عليك أن الوارد الرباني عبارة عن نور منه ما يتنزل على محل يأتي بسرعة من قبيل كن لكنه يصل إلى قلب عبده برفق ومنه ما يقع على القلب بقوة فلا يقوى العبد على تحمله فيعقبه وارد آخر فينسخ ما قبله أو يثبته والله لطيف بعباده ولله سبحانه في خلقه شؤون، أليس هو القائل سبحانه --- «كل يوم هو في شأن»؟--- الرحمن الآية ٧٢

قلت: بلى، ولكن ماذا يحدث الخاطر في هذا القلب؟

قالت: ينوره، ماذا أقول لك، طلعت عليه إشراقات فخلعت عليه ثوبًا من نور فصار ينظر من عين أخرى زادته يقينًا وعلمًا شريفًا.

قلت: لم أفقه مما قلت إلا يسيرًا فاضربي لي مثلا لعلني أفهم.

قالت: اسمع، سأضرب لك مثلا جليًا، الأعمال الصالحة التي تصدر من المؤمن هي هبات وهبها الله له من قديم بحكم اختياره لذا فهو على عينه لا ينساه وكلما تقرب إليه وصله وحماه، ومن أجل ذلك تأتيه الهواتف من حين إلى آخر

لتذكره وتدله عليه سبحانه.

ومن الخواطر ما يخرجك من حال إلى حال؛ فتقول مثلا سأدع هذه العادات وأتوجه إلى تلك المنارات أو تقول مثلا أين كنت قبل هذا سبحانك. وتداوم على الذكر والدعاء حتى تسكن نفسك ويطمئن قلبك.

باختصار، الخاطر الرباني هو نداء من جانب الحق شبيه إلى حد ما بالرؤيا الصالحة التي هي جزء من النبوة فافهم.

قلت: وهل لك في الخواطر كلام آخر؟

قالت: كثير يطول شرحه، أقول لك؛ الخاطر تجليات تورث الأذواق و المواجيد

وينتج عنه في الغالب التخلي عن كل انشغال إلا عن الله سبحانه وقد يأخذك هذا الخاطر إلى العزلة لتذكره كثيرًا حتى تستبين لك حقائق يقينية وتطلع على أسرار

ما كنت تدريها أو تخطر على قلبك، وهنالك الولاية لله تعالى.

روح عن نفسك ولا تطلب منا المزيد.

قلت: حديثكن شيق يبعث في نفسي دواعي الأمل .

قالت: إن حالك مثل حال من قال:

تذكرني مر النسيم عهودكم فأزداد شوقًا كلَّما هبت الريح

أو كحال من قال:

ما بدا فهو وجهه والذي غاب أعظم

هو لا شك ظاهر فهو باد مكتم

لا تقل كيف لي به فيه عنه تفهم

سأحكي لك في هذا المعنى قصة ربما تنفعك أو تكشف لك عن أسرار غابت عنك بما لها وما عليها أو توفد إليك خاطرًا لم يخطر عليك من قبل فاسمع؛ كان فيما مضى في قديم الزمان وسالف العصر والأوان في بلاد تدعى نهروان طواها النسيان ولم يبق لها أثر إلى الآن شاب من خيرة شباب تلك الأوطان خلقًا وخلقة يدعى زهران، لمح ذات مرة حبة بنت ملك نهروان فأعقبته في قلبه حسرة وأزعجت نفسه، وشوشت فكره وقذفته في بحار الجوى، وحبة هذه كانت من أجمل فتيات عصرها من رآها سقط رغما عنه في حبالها.

لم يكن للفتى أحد من الأهل أو الأصحاب يثق فيه ليبثه ما يجد من غلبة الهوى.

استلقى ذات يوم تحت شجرة تين يناجي نفسه وإذا بطائر من فصيلة السلوى يحط على غصن عال من شجرة زيتون قريبة منه.

قال الطائر بلسان فصيح وهو يخاطب الزيتونة: ما دواء من اعتل بالعشق وضاقت عليه الدنيا بما رحبت؟ قالت: عليه باقتنائه لسلطان الرياحين الموجود بمملكة شاهين ، قال الطائر: ثم ماذا بعد ذلك؟ قالت: يقطف منها سبعًا ويضعها في إناء فيه ماء من عين الأمل حتى لا تذبل ثم يقبل فيهديها إلى من يعشق يسلم.

قال الطائر: ثم ماذا بعد ذلك؟ قالت: ينتظر الجواب بعد حين لأن لهذه الورود سحر يؤثر في القلوب وبه يحصل المقصود ويظفر الحبيب بالمحبوب، هذه ردودي فلا ترهقني لأني لا أبوح بالأسرار إلا

وأنا مرغمة والسلام. غرد الطائر وطار فكاد قلب زهران أن يطير وراءه.

شاع في البلد خبر مرض السلطان واغتمت رعيته بسبب هذا المصاب.

تهافت أمهر الأطباء في هذا الداء، ولما أعياهم خطبه قالوا: هذا طارئ ولا علم لنا به وهكذا ألقوا معاذيرهم.

تألم زهران بما حدث للسلطان وتمنَّى لو تكون له قدرة أو عصا سحرية يضربه بها برفق فيصح .

وفي صبيحة يوم من الأيام خرج الفتى بنية السفر إلى بلاد شاهين.

لم يترك برًّا ولا بحرًا في طريقه إلا قطعه، تخطى كل صعب وانسل من كل شدة كما تنسل الشعرة من العجين، ولما وصل واستراح ذهب يسأل من يتوسم فيهم خيرًا عن سلطان الرياحين وعين الأمل، لم يجد عند القوم ما جاء من أجله وخاف أن يرجع من حيث أتى خالي الوفاض حاصله الشقاء.

جلس ذات يوم على صخرة خارج المدينة يفكر فيما آلت إليه الأمور إذ لمح بين رجليه نملة صغيرة تدب يمينًا و يسارًا، وفجأة توقفت عن المسير وخاطبته بلغة لم يفهمها، أشار إليها بيديه معبرًا عن عدم إدراك ما ألقت عليه من الخطاب، قالت بلغته: ساعدني أخلصك مما أنت فيه، قال لها متعجبًا: كيف ؟

قالت: ريح رمت بي من فوق، أخذها زهران، برفق صعد بها وأنزلها كما أوصته قرب شجيرة هناك، قالت: اسأل عما تبحث عنه فحكى لها قصته قالت: هي ورود نادرة لا تقدر بثمن لا يعرف مكانها أحد من الثقلين وكذلك عين الأمل فهي محجوبة عن العيون لكي لا يفتتن بها من لا قلب له.

سأدلك عليها لكن بشرط، قال: وما هو؟ قالت: لا تفشِ هذا السر لأحد و عندما تحصل عليها ترحل في الحين.

عمل زهران بنصيحة النملة وأخذ الإناء وما فيه وغادر هذه البلاد، هذا ما كان من أمره، أما ما جرى في نهروان فقد زاد الحال على السلطان حتى صار جثة خامدة لا أمل له في الحياة وبما أنه لم يعقب ولدًا يرثه في الملك، بويعت حبة سلطانة على البلاد.

بعد أيام طوال وصل زهران سالمًا إلى مشارف الوطن وكم كانت فرحته شديدة عند مروره بشجرتي التين والزيتون اللتين ساعدتاه في تفريج كربته. استلقى هذه المرة تحت شجرة الزيتون ليستريح قليلا من عناء السفر وبينما هو غارق في الأماني والأحلام وعيونه على الورود إذا بالطائر نفسه يحط على شجرة التين، نظر إليه الفتى نظرة إعجاب وامتنان و اغرورقت عيناه بدموع المحبة والعرفان ، قال الطائر وهو يسأل شجرة التين:

ما علاج من ظن الناس أن لا دواء له؟ قالت: لكل داء دواء، ودواؤه يؤخذ مني سبع بواكير يأكل كل يوم واحدة فإذا أتمها نهض بإذن الله وقالت: لا تدل علي احدًا

فيقطعني إربا إربا ، قال الطائر: اسمع يا فتى، لا تفش أسرارنا .أجاب زهران بالسمع والطاعة شاكرا لأنعمه.

ذاع في القصر خبر وجود علاج للسلطان فأرسلت الأميرة حبة في طلب الفتى ولما مثل بين يديها حيَّاها بتحية الولاء والتقدير وأهداها باقة الورود فوقع في قلبها ما لم يكن في الحسبان وبعد ذلك أدخلوه على الملك فناوله واحدة من تلك البواكير فتحركت أطرافه حركة خفيفة وفي اليوم الثاني نطق لسانه

بالحمد والشكر لله سبحانه، وفي اليوم الثالث شكر الشاب على صنيعه ونهض من فراشه

وأمر بإخراج الصدقات لذوي الحاجات وابتهجت المدينة وسائر البلاد بالحفلات ودخل السرور في الصدور، وفي اليوم الرابع أسرَّت حبة بما يختلج في قلبها من الغرام إلى كاتمة أسرارها إحدى وصيفاتها المقربة ورأت أن تبعث إليه رسالة تشكو إليه فيها فرط حبها، وفي اليوم الخامس التقى الحبيبان و تبادلا الخطاب بكلام أطيب من عود البان وأرق من نسيم الشمال.

وفي اليوم السابع تمت الأفراح بإعلان زفاف الأميرة حبة بالفتى المحظوظ زهران.

قلت: عذرًا وماذا حدث في اليوم السادس؟

قالت: أكل السلطان الباكورة السادسة ثم خلا بنفسه ساعة ورأى أن يزوج ابنته وقرة عينه حبة لمن كان شفاؤه بسببه وانبعاث روح الوئام في البلاد

على يديه.قالت: إن روحي زهران وطائر السلوى سقيا من معين واحد و الأرواح

إذا تعارفت وتوافقت تجاذبت وامتزج حبها بحبه سبحانه وفتحت لها من خزائنه ما جعل زهران مثلا يفهم منطق الطير، والطائر يعي منطق الشجر وهذه من لطائف خزائنه، ومن أجل هذا قصصتها عليك فافهم.

وإذا قال قائل هذه خرافات؛ فمن عنده لقصور إدراكه وضعف إيمانه و نقصان وزنه، فلو كان هذا من الأخيار لسمع تسبيح الطيور و الأشجار والوديان والأنهار والحيتان في البحار وكذا الحيوان في الفيافي

والقفار، وإذا قلت لم أوصت كل من الشجرتين بسبع وردات وسبع

باكورات قلت لأنها تعلم أن في العدد سبعة حكمة وقدرة على التأثير والشفاء، وإذا نقص العدد أو زاد لم يحصل المراد وربما أدى ذلك إلى عطب ولكل عدد خواص يستعمل من أجلها ومرتبة يتفرد بها فسبح بحمد ربك قبل فوات أوانك.

قلت: أشعر أحيانا بوجود تداعيات في قلبي تمنعني عن إدراك ما ترمين إليه من حقائق.

قالت: شعورك هذا من نتائج شكوكك، فلا تكن كالقابع في ثيابه الذي انكمشت نفسه على بعض الحظوظ وظن أنه في أمان، اخرج من قوقعتك، أنت تعتقد أنها تحميك من صروف الزمان بينما هي تحتضنك وتلهيك لكي لا تكون لك همة ولا تعلم من بعد شيئًا.

قلت: هذه عقبات صعبة الاجتياز وهذه عوائق يكاد لا يسلم منها أحد فكيف السلوك إلى مواطن الأمان؟

قالت: نحن زهور باقتك، تعاهدنا فيما بيننا على أن لا نذبل بين يديك حتى نبذ ل

جمدًا لفك جل قيودك بشرح ما استشكل عليك وإفادتك بما غاب عنك وتخليصك مما تشكو من غوائله وتحريرك من ضيق ما أحاط بك بإذن الله فلا تترك للهموم نفوذا في قلبك واستعن بالله إنا نراك من الطيبين وفي التصريح ترويح.

قلت: عفوًا، أحبكم الله إذ أحببتموني، وأشكركن على حسن نواياكن وغلاوة نصائحكن.

قالت: سنقص عليك قصة تحط عنك شكوكًا وتكسبك علما فاسمع:

كان فيما كان قبلك بزمان بعيد طائر لا يشبه الطيور في حجم الطاووس يفوق الطيور جمالا وغردا، لقيه يومًا هدهد فسأله من أين لك هذا؟ قال له الطائر:

هو من عند الله، و حلق عاليًا فلقيه هنالك عقاب وسأله: هل تدلني إلى من علمك ؟

أجابه الطائر قائلا: إن الذي يعلمني لا يحتاج إلى برهان يدل عليه ولا إلى دليل يوصل إليه لأنه هو البرهان وإن شئت قلت هو الدليل.

سأله العقاب مرة أخرى: وكيف صرت كما أنت عليه؟ أجابه بتواضع نظر إلي نظرة نزعت عني تلك الشوكة، عذرًا، تلك الكسوة وخلعت علي الرياش التي تراها فأنا منذ تلك اللحظة صرت فتنة لمن نظر إلي أو سمع تغريدي وإذا تجليت

لأحد أدهشته وإذا سمع من غنائي أذهلته، فلا هذه لي ولا التي قبلها أوتيتها على علم من عندي إنما هي نفحات فافهم، ثم طار حتى خيل للعقاب أنه بلغ إلى عنان السماء

وغاب في نور الشمس. رأته ذات يوم قبرة وهو على غصن شجرة مطاط فارعة الطول، يمسح وجهه

بجناحيه قالت له: كيف حالك أيها الملك؟ قال: اولا: أنا لست ملكً؛ إنما أنا نسمة عابرة لا أملك لنفسي ضرًا ولا نفعًا، ثانيًا: أنا أبيت على ذكره وأصبح في حال «اذكروني اذكركم: ---ثم أنتقل إلى حال --- «وقليل من عبادي الشكور»---.اجتمعت طيور ذاك الزمان الغابر واستقر رأيهم على أن يجعلوه ملكًا عليهم .طلبوه فلم يقعوا له على أثر، وأخيرًا لم يدلهم عليه إلا فراشة قالت: أبشروا إنه يتردد أحيانًا إلى هذه البركة، يرتوي منها فانتظروه هناك لعلكم تظفرونبلقائه. قال له نسر من نسورهم بعدما حفلوا حوله: ألا أيها الطائر الحكيم جئنا

إليك متفائلين عسى أن تقبل اقتراحنا قال: وما هو؟ قال النسر في وقار: وددنا أن تكون ملكًا لنا، أجابهم قائلا: انتظروا إلى أن تطلع الشمس من مغربها، حين ذلك نصبوني ملكًا، قالوا: هذا محال، ولن نبقى أحياء إلى ذلك الحين فأشفق علينا وتقبل سؤلنا، قال لهم الملك: أمانة حملها ثقيل ومسالكه وعرة ضيقة، من تقلد به خنقه لا محالة.

اتركوني لنفسي وانظروا طائرًا غيري، قالوا: لا نرى لهذا الأمر غيرك وإن لم تكن أنت فبئس المسعى سعينا، قال: شغلي به شغلني عن غيره فكيف لي أن أتدبر شؤونكم ؟ قال بعضهم لبعض: لقد خاب سعينا إذ لم نظفر بقائد مثلك، لكن نود أن تجيبنا عن أمور نحن فيها من الحيارى قال: اسالوا عسى إن تبدت لكم لم تسؤكم.

سألته في البداية بومة كانت في مقدمة هذا الحشد: لم يأكل القوي منا الضعيف ؟

أجابها: تلك أرزاق قدرها الله بينكم، ألم تاكلي البارحة فأرا أو عصفورا؟

إن لم تفعلي فكيف ستعيشين وكيف ستربين فراخك ؟ ثم هي جبلة في نفوس الطيور

لا بد منها ولا تحويل لكلمات الله، سأله وطواط من وسطهم: ولم فضل الله بعضنا على بعض؟ أجابه الطائر: ذلك فضل الله يوتيه من يشاء قضت حكمته أن تخرج أمة الوطاويط بالليل فقط، ولو خرجت نهارًا لعميت أبصارها وضلت السبيل

ثم قضي عليها، فاحمدوا الله تعالى على هذه النعم.

سأله نورس عجوز قال: سمعت أنه عند مطلع الشمس أرض خضراء لا يذبل

نباتها وبها عين الحياة؛ من شرب منها عاش أبدًا فهل تدلني عليها؟
أجابه الطائر: تلك أضغاث أحلام، ولا تعتقد في كل ما تسمعه فكثير من الأخبار خرافات، إن كنت تحب أن تحيا سعيدًا أبدًا فعش على ذكره فهو ذاك الماء وتلك العين.

obeikandl.com

الجزء الثالث

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الواحد الأحد الفرد الصمد الذي كان ولم يكن معه شيء الغني المتعال بديع السماوات و الأرض وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون، ليس كمثله شيء ولا تدركه الأبصار، يعلم ما تخفيه الصدور من النوايا وشتى أنواع الأمور، عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين، أرسل رسوله بدين الحق ليظهره على الدين كله ويتمم به مكارم الأخلاق ويزين بأنواره قلوب أوليائه ويخرج به من خصه الله بهدايته من ظلمات الضلال إلى أنوار معارفه، والصلاة والسلام على حبيبه محمد أفضل خلقه وعلى آله الأبرار وصحبه الأخيار، أما بعد.. فهذا هو الجزء الثالث لمقالات الزهور فيما أفصحت عنه من الأمور، ويهدف إلى إماطة اللثام عن وجوه حقائق عرفانية و التصريح باعترافات وجدانية وتقريرات روحانية، نسأل الله تعالى حسن الثواب وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه فهو أكرم الأكرمين.

* * * *

قالت الزهرة الحسناء بعد تحميد الله و تقديسه والصلاة على حبيبه وآله وصحبه: اعلم أن كل طائر له حكاية يحكيها، ومن الطيور من له زيادة على ذلك

أنشودة ينشدها ليدل على مدى حبه وتعلقه بمولاه فهو يحكي وينشد وفق حاله، ويفصح على قدر مقامه ولا تنس أنها خلقت حبًا منه وكرامة لها.

أنت تقول إن الطيور تستعمل أصواتها للنداء، نعم هذا صحيح لكن لا حياة لمن تناديه، وتقول أيضًا إنها تنادي أفراخها أو تتواصل فيما بينها، نعم هذا صحيح ولكن لكل نداء غاية فافهم، قال الله تعالى: وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا: «أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون» فصلت (٢٠) .هذا بحر مديد عميق لا يتطلع إلى جواهره إلا العارفون، قد اقتبست لك من المعاني ما قل و دل، مع العلم أن في التلويح أحيانا ما يُغني عن التلميح.

قلت: فهمت قليلا و احتجبت عني أشياء كثيرة فلا إلى قلة فهمي أجنح ولا إلى ما أجهله أهتدي معذرة؛ تارة أنطق بلساني بما لا ينسجه فكري أو يخطر على بالي.

قالت: لا عليك، فهذا يحدث عندما يقوى داعي الشوق إلى طلب المعرفة ولا تنس أن حب المعرفة من صفات النفس العلية.

قلت: وما هي النفس العلية؟

قالت: هي النفس التي تسعى إلى التخلي عن كل خسيس والتحلي بكل ما هو نفيس، وأسمى النفائس وأعلاها كما قلنا لك آنفا محبة الله سبحانه.

قلت: وكيف للنفس أن تبلغ هذه الدرجات؟

قالت: بالعنايات في البدايات والمعاينات في النهايات.

فالنفس العلية مطلوبة قبل أن تكون طالبة لسلوك طريق الحق ومرادة قبل أن تكون مريدة للمعارف الالهية.

وهي ترتقي بالحواس والتفكر والإلهام إلى معرفة خالقها ومحبته ومن أجل ذلك كانت وستبقى وإن سألت عن العنايات فهي من اختياراته أما المعاينات فمشاهدات ومكاشفات.

قلت: وما هذه المكاشفات؟

نطقت إحدى هذه الزهور ولم تكن نطقت من قبل، قالت: أختاه إن صاحبنا كثير التساؤلات، حبه يحركه كما يحرك الماء الجاري الرحى،أفلا تتركينه لي؟قالت الزهرة الحسناء: تفضلي مشكورة هو لك، ترفقي به إن أعيننا عليه.

قالت هذه الزهرة وكانت من أبهى تلك الزهور؟ المكاشفات أصناف وكل صنف وتجلياته، منها ما يكون واضحًا ومنها ما يكون محجوبا بستر شبه شفافة، تتخللها أنوار لطيفة وعلى قدر العنايات تأتي المكاشفات؛ يعني لكل عناية مكاشفة توافقها ومحلها القلب الطاهر الذي غسل بمياه عين المحبة.

فمن أحبه الله تعالى لا بد أن يكشف له عن مكنونات بعض الحقائق العرفانية لكي يعرف وينال

مكانة في درجات المقربين.

إن الله سبحانه اِطلع على قلوب عباده فرأى قلوبًا لا تليق إلا به فاختارها على علم سابق منه لمحبته ولا يكون إلا ما يريد. الله يفعل ما يشاء في ملكه وهو أدرى بعباده وإنك لن تهدي من أحببت بل هو يهدي من أحب و يختار. قال تعالى:«وربك يخلق ما يشاء و يختار ما كان لهم الخيرة»القصص (٨٦) «الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب»الشورى(٣١)والمكاشفة هي إزالة الحجاب عن ما خفي، وهي معرفة ما وراء الحجاب من لطائف الإشارات وهي حضور القلب إلى حضرة من حضراته لمشاهدة نعوت له، وهي أيضًا معاينة لطلوع أنوار له للتعرف على أوصاف له، وهي كذلك نقله إياك من حال النظر إلى نفسك إلى حال النظر إليه وشتان بين النَّظرين.

قال الشاعر:

قد كان ما كان سترًا لا أبوح به فظن خيرًا و لا تسأل عن الخبر

وقد تكون بعض المكاشفات مبشرات ترى في المنامات كرؤى من عالم الغيب

أو رؤى في مقام العيان فافهم، و من المقامات التي يجب على هذه النفس اجتيازها للوصول إلى مقام المكاشفة مقام الرضا.

قلت: وما هو هذا المقام؟

قالت: رويدك، لا تعجل علينا فإن لنا قلوبا رقيقة أرق من خيوط الحرير وأخف من ريش الفراخ وأدق من نسيج العنكبوت ولنا أعين تذرف الدمع كل حين شوقًا إليه، لذا فأمهلنا بين الفينة والأخرى لحظات لنعثر لك عن إفادات.

قلت: أعتذر مرة أخرى.

قاطعتني قائلة: لا عليك فأنت معذور أصلا، والمشتاق هذه حاله لا يهدأ له بال، اعلم أن الرضا حالة يتجلى بها المحب في سيره إلى منازل الأوابين و سلوكه لطريق الأبراروهي خلعة من خزائن منه ومكرمة عظيمة من مكارم المحبوب قال تعالى: «رضي الله عنهم و رضوا عنه ذلك الفوز العظيم»المائدة (٩١١)

الرضا هو سكون القلب لمراد الله عز وجل و لمجاري أقداره و موافقته له في قضائه سبحانه والنظر إلى قدره نظر إجلال وتقديس، و فيه يضمحل البلاء ليصير عزًا وفيه يتساوى البلاء بآلامه مع النعمة بمسراتها وفيه يستبشر المحب بقدوم الغصص والبلايا كما يفرح الغير بالرخاء والنعم .

وفيه ينشرح القلب بحسن تدبيره تعالى ويطمئن بحسن الظن به فالبلاء عطاء والصبر ضياء، وهو ينفي كل الرذائل وفي مقدمتها السخط و الظلم وكذا الكبرياء و الرياء، قال أبو تراب النخشبي رحمه الله:

لا تخدعن فللحبيب دلائل ... وله من تحف الحبيب وسائل

منها تنعمه بمر بلائه ... وسروره بكل ما هو فاعل

فالمنع منه عطية مقبولة ... والفقر إكرام و بر عاجل

وإذا قلت لم يستبشر المحب بقدوم البلاء أجبناك بما روي عن الحبيب صلى الله عليه وسلم وآله أنه قال:–إذا أحب الله عبدًا ابتلاه– و في حديث آخر –

إذا أحب الله عبدا حماه في الدنيا كما يحمي أحدكم سقيمه الماء– الترمذي والحاكم والبيهقي في الشعب وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله –إذا أحب الله تعالى العبد نادى جبريل إن الله تعالى يحب فلانًا فأحبه فيحبه جبريل فينادي في أهل السماء إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض متفق عليه. وصدق من قال: قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت و يبتلي الله بعض الناس بالنعم، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم وآله «يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله تعالى» رواه الترمذي والطبراني في الكبير وابن أبي الدنيا.

ولايصل المؤمن إلى هذه المرتبة إلا بالرضا،والرضا راؤه رضوان وضاده ضياءوألفه ألفة بما جرى ونزل، وثمرته النظر إليه سبحانه في الدنياوالآخرة؛ في الدنيا بالقلب دون البصر و في الآخرة بهما معًا، وكل ذلك من فضله عز وجل.

قلت: سبحان الله! اعتقدت أن المحب قد يرى ربه في الدنيا قبل الآخرة:

قالت: هيهات، كيف له أن يراه في دار تسفك فيها الدماء ظلمًاو يشرك فيها بالله جهارًا وتنهك فيها محارمه تباعًا وتنقض فيها عراه تترا، فينخرها الفساد مثل نخر السوس للخشب.

فكيف يرضى المحب أن يراه فيها وهو يعلم حق اليقين أن الله تعالى لو تجلى بنور من أنواره لنتج عنه هلاك ما وصل إليه نظره سبحانه.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم وآله:لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أشرفت إلى الأرض لملأت الأرض من ريح المسك و لأذهبت ضوء الشمس والقمر الجامع الصغير للسيوطي وفي حديث آخر،إن الرجل من أهل عليين ليشرف على أهل الجنة فتضيءالجنة لوجهه كأنها كوكب دري (في نفس المصدر)، هذا فافهم ما أرمي إليه ولا مجال للمقارنة بين ما للخالق من صفات الجلال والكمال وما لما خلق من صفات الدلال والجمال؛ فمثلا رحيقنا من نفحاته فاح وكلامنا إشارات

إليه لاح وقد تستتر معانيه إذا بسر باح، قال رسول الله عليه الصلاة والسلام وعلى آل: إن الشمس والقمر إذا رأى أحدهما من عظمة الله تعالى شيئًا حاد عن مجراه فانكسف، في نفس المصدر. فلا تطلب الرؤية فإنها فوق طاقتك بكثير ولن تستطيع نفسك تحمل ثقل ذرة من أنوارها وكم زهرة كانت قبلنا طلبت رؤيته فلم يعد لها أثر قبل أن تنظر؛ احترقت وحملتها الرياح إلى حيث ما شاء الله تعالى. وإذا أردت مع ذلك أن تراه فما عليك إلا أن تتعلق بستر من رحمته وتسعى إلى النظر إلى طلائع أنوار حبيبه من خلال ذكرك إياه ومحبته، ففي رؤيته من هذا السبيل إشارة إلى رؤيته عز وجل ولنا في الرؤية أخبار أخرى مثل نظرك إليه يورثك نورًا لن تشقى بعده أبدًا، ومن رأى من أحبه الله ورفع ذكره أحبه الله لا ريب في ذلك.

وقد سئل الحبيب هل رأى ربه فأجاب: نور أنَّى أراه فأنت إذا رأيته حقيقة فكأنك نظرت إليه سبحانه من قريب فطوبى لمن رأى حبيبه، وللإمام الفقيه محمد المقري في كتابه الحقائق والرقائق ما نصه قيل لبعضهم أتحب أن تراه؟

فقال: لا، قيل: ولم؟ قال: أجل، ذلك الجمال عن نظر مثلي، و قد أعجبنا هذا المقال فنقلناه لك على سبيل المثال فاذكرنا عند ربك بخير، قلت: أجل وكيف يراه المحب في الدنيا بقلبه؟

قالت: أنت لا تنسى من أقوالنا شيئا، فكيف تدعي أنك بطيء الفهم كثير النسيان ؟!

قلت: لا أدري غير أنني مشتاق، ولي ميول نحو الرقائق من الأقوال و نزوع إلى الحقائق من الأحوال.

قالت: حسنًا، اعلم أن الله تعالى لا يرى إطلاقا هنا لجلالة قدره و عظمته سبحانه أما بالقلب الذي هو محل تنزلات محبته فممكن، وهو يقع على قدر إيمان المرء ومكانة محبته لمولاه، وهو يتجلى لمن أحبه بأنوار لطيفة وصفات جليلة وهذه رؤية غير مطلقة وإنما هي بشارة لرؤيته في الآخرة.

قال الشبلي رحمه الله:

على بعدك لا يصبر من عادته القرب

ولا يقوى على هجرك من تيمه الحب

فإن لم ترك العين فقد أبصرك القلب

ولا نريد أن نفصح لك عن أشياء في هذا الشأن الجليل ربما تنزعج نفسك ويضطرب قلبك بما لم تحط به علمًا؛ فالنفس أمارة ظنانة والقلب متقلب متلون.

قلت: إذن الرؤية قلبية ولا عينية وفي النعيم مطلقة ولا نسبية.

قالت: هذا اعتقادنا وفوق ذلك ما لا يخطر على بالك؛ إن الله يؤتي الحكمة من يشاءوالله الأمر كله فسبحانه ما أعظم شأنه، قل لنا ما يبكيك.

قلت: يبكيني تذكري لأحباب كانوا مع الحبيب كالكواكب حول الشمس يستمدون أنوارهم من نوره لا حزنًا على ذهابهم بل اشتياقا إليهم، قيل لي مرة ما السلامة؟ قلت: هي ترك ما في أيدي الناس وهل في أيديهم شيء؟

وقيل لي بعد ذلك ما قيمة الأعراض والعادات؟ قلت:لي فيها أقوال متقاربة المعاني، سكت هنيهة وما كان سكوتي إلا من أجل استحضار ذكريات في هذا الباب، قالت الزهرة الحسناء: وما كانت أقوالك؟

قلت: من انطبعت الأعراض والعادات في قلبه فكيف يعرف؟ومن تعلقت نفسه بالطبائع والأغيار وسكنت إلى بهجات الدنيا فأنى له أن يعرف، وكيف ينكشف لمشتغل بدنيا حجاب حقيقة؟بل كيف يرى النور من في قلبه رين وعلى بصره غشاوة وفي أذنيه وقر؟ زهرتي الحسناء كيف أشرف الله تعالى على قلوب عباده فرأى قلوبًا لا تليق إلا به فاختارها لمحبته؟

قالت: سكرنا نحن الزهور بشربة من عين محبته عندما تجلى بصفة الجلال ورداء العظمةوشهدنا قبل شهودكم إلا أننا لم نغب عن رؤية حضوره بينما أنتم إلا ثلة منكم تهتم في سرادقات مظلمة فابتعدتم عن منهجه بإتباعكم الهوى وحب

العاجلة ولو علمتم ما كان مخصوص لكم من القرب، ولو علمتم ما نعلم لبكيتم كثيرًا وما رضيتم بالحياة الدنيا بديلا لكن» وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورا»الإسراء(٣١)، أما الذين سعدوا منكم فقد أصابتهم رحمة خاصة ونور في سابق علمه من قبل أن يبرأهم، قال تعالى»وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم»الأنعام(٥١١)

قلت: صدق الله العظيم وبلغ رسوله الحبيب، وما تلك الثلة؟

قالت: قلت لك إنهم أهل السعادة وهم أصناف؛ صنف نالوا من أنواره مقدار قطرة أو قطرات وهم عامة المؤمنين وصنف نورهم نسبته كنسبة الصدر من الجسد و صنف كالنجوم والصنف الأعلى هو أشرفها وهم الأنبياء أما أعظمها فنور حبيبنا عليه الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه، وأنت لا محالة تشرب من صفاء عينه وتقتبس من أنواره وتدخر، من مكنونات خزائنه فطوبى لمن كان له تابعا.

وأين أنت من مقام قيل في معناه:

ذكرنا وما كنا نسينا فنذكر ولكن نسيم القرب يبدو فيبهر

فأفنى به عني وأبقى به له إذ الحق عنه مخبر و معبر

قلت: وما ذاك؟

قالت: لله عباد لا يغيب عنهم الحق سبحانه؛ فهم دائمًا له ذاكرون وفي كل وقت لهم مناجات معه وأحيانًا يتجلى لهم بحلة غير التي كانت قبلها وقلوبهم تذوب من حين لآخر بما تطلع عليها من الحقائق القدسية والأنوار الباهرة، لا حياة لهم إلا بما يصلهم من سبحات تجلياته.

والقلوب كذلك أصناف أشهرها ثلاثة: قلب غافل وقلب ذاكر وقلب مغمور بمحبته، فانظر أين هو قلبك منها، قلت: سأكذب نفسي فيما وعدتني وأحاسبها وأنظر إلى قلبي كما نصحت لي فحدثيني الآن حديثا أنتفع به وتستروح روحي إليه.

قالت: روت لنا زهرة من رياض القرب قالت: كان أحد العارفين مغرما بصيد الأسماك، ذات يوم وهو يصطاد بجانب البحر ويتأمل في ملكوت الله تعالى وما انطوى عليه من الأسرار إذ لمح سربًا من الأسماك تسبح شرعًا قريبة منه، قال: سبحان الله ما أجمل، هذا المنظر وما أبدعه ! يا ليتني أظفر بواحدة منها لأنعم برؤية بديع صنعه فيها وأطعمها فأشكر، نادته إحداها: نحن لم نقبل إليك إلا لأنك من المسبحين و لوعلمنا أنك تطمع فينا ما أتيناك، قال: وما قيمة هذه البحار بدونكن؟ ألم تعلمي أنكن من دلائل جوده و لآلئ خزائنه.

قالت: ما قولك في من قال إنه من غفل عن تسبيحه منا ضل، وربما قذف به البحر على الساحل، قال: وما قولك في من قال: من نسينا وأعرض عنا نسيناه ومن نسيناه تلف وعرض نفسه للاختطاف؟

قالت:كيف ننساه وقد جبلنا على ذكره؟!

قال:رغم ذلك تغفون كثيرًا ولا عجب إن التقمك حوت أو وقعت في مصيدة أو حدث لك طارئ فارقت على إثره روحك، فما أعظم أن تهجر نفسك دنياها وهي ممتنة له بفضله عليها، وشاكرة لأنعمه، و لئن نجوت فلا يشغلنك عن ذكره شيء؛ فأنت سمكة فيها روح عزيزة فأحسني ظنك به في جميع الأحوال و دعي تدبيرك إلى تدبيره حتى لا يكون تلفك في تركه إياك معلقة باختياراتك ففي ذلك بعد و حرقة وإن شئت قلت حسرة و ندامة، اغتنمي هذه الفرص قبل أن تنتزع منك روحك، وعيشي مطمئنة بتسبيحه.

قالت السمكة:فما الطمأنينة؟ثم قالت:لئن أجبتنا إجابة سديدة تطمئن لها قلوبنا أهديناك أجمل سمكة منا، قال العارف:الطمأنينة في البدايات سكينة وفي النهايات شهود مع كمال في الإيمان؛ قال تعالى:«وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي»البقرة(٢٦٠) وقال سبحانه:«قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين»المائدة(٣١١) والطمأنينة هي أيضًا النظر إليه بحياء والرضا بالقضاء وانشراح القلب عند نزول البلاء، إذ ذاك قالت الأسماك:ربنا ما عبدناك

حق عبادتك- وعبادتها تسبيح – وكم فرطنا في جنبك-وتعني أنها غفت كثيرًا – أبكيتنا أيها العارف .قال: بكيت قبلكن وإني لأبكي الآن وسأظل أبكي ما دمت حيًّا بذكره.

قالت: اقترب من الساحل، سنخرج لك هديتك فادع لنا بخير. أخذ العارف السمكة بامتنان ودعا لها وانصرف شاكرًا.

قلت:روح الله تعالى عليكن من رحمته وجعلكن ذخرًا لأحبائه.

قالت:لو تعلم شيئًا مما نعلم لتمنيت أن تكون زهرة مثلنا، لو عرفت لاشتقت إلينا وما برحت بابنا.

اسمع، لقد حدثتنا زهرة فيما مضى أن الشبلي رحمه الله تعالى رأى مجنونا والصبيان حوله يرمونه بالحجارة فأدموا وجهه وشجوا رأسه فما كان من الشبلي إلا أن زجرهم وعاب عليهم فعلهم هذا فقالوا: يا شيخنا دعنا نقتله فإنه كافر، فقال لهم: وما الذي ظهر لكم من كفره؟ قالوا إنه يدعي أنه يرى الله ويحادثه، فقال: أمسكوا عنه قليلا ثم تقدم إليه فوجده يتحدث ويضحك ثم يقول: هذا جميل منك، تسلط علي هؤلاء الصبيان يفعلون بي هكذا، فتقدم إليه وقال له:يا أخي ما يقول هؤلاء الصبيان عنك؟ قال يا شبلي وما الذي يقولون؟

قال: يقولون إنك ترى ربك وتحادثه، فصاح صيحة عظيمة ثم قال أف لقلوب لا تعرف مولاها، يا شبلي وحق من تيمني بحبه وهيمني بين بعده وقربه لو احتجب عني طرفة عين لتقطعت من ألم البين ثم ولى وهو يقول:

جمالك في عيني و ذكرك في فمي وحبك في قلبي فأين تغيب

عليك رقيب من جفوني كما غدا لك اليوم من قلبي علي رقيب

مثله ذكره اليافعي في روض الرياحين.

ونحن زهورك نقول لك مرة أخرى إن الرؤية بالقلوب هي تجليات بعض أنواره سبحانه وإن شئت قلت مشاهدات بأنوار الإيمان وصفاء البصيرة ورؤى قلوب

المؤمنين تكون على قدر يقينهم واعتقادهم فيه ومحبتهم له سبحانه وكذا شدة إقبالهم عليه وهي من أجل وأعز ثمرات المحبة.

قلت: إني لأعجب ممن يطلب الدنيا وهي تفر منه فتسبقه ولا يظفر بنصيب منها فتظل نفسه معلقة بها فينسى الله تعالى.

قالت: ذلك لأنه اتبع هواه وزين له حب الشهوات وظن أنه لن يموت و يطول أمله في الحياة، وهذه غفلة عظيمة قلما يفيق منها فينتبه. كنت قد سألتنا عن القرب.

قلت: نعم، نعم فما هو؟

قالت: القرب صنفان؛ قربه منك وقربك منه وقيل هو واحد لأن قربك منه من قربه لكن نحن نميز بينهما بقولنا قربه منك بإيجاده لك من العدم وماخصه لك من النعم قال تعالى:»قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا»مريم (٨)، وقال تعالى:«هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا» الإنسان (١)، فقربه منك بعلمه إذ هو أعلم بك منك، وقربه منك بقربه إذ هو أيضا أقرب إليك منك، وقد تقرب إليك فدعاك إليه، قال تعالى:» وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني فليستجيبوا لي و ليؤمنوا بي لعلهم يرشدون» البقرة (٥٨١)، أما قربك منه فباستجابتك له لما دعاك إليه ولا يزال المؤمن يتقرب إليه سبحانه، بالطاعات والنوافل حتى يحبه فإذا أحبه كفاه؛ قال الحبيب عليه أفضل صلاة وأزكى سلام وآله: إن الله تعالى قال» من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبَّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه»البخاري، وفي حديث آخر يقول الله عز وجل:(أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعا وإن أتاني يمشي

أتيته هرولة). متفق عليه، قلت: كم أنا بعيد منه سبحانه؛ لقد قصرت في الأيام الخالية إذ ضيعت أوقاتي فيما لا ينفع ففاتتني أعمال جليلة فيا حسرتي على غفلاتي.

قالت: إن الذي فاتك لم يكن لتحظى به فاغنم بما هو آت ولا تيأس من روح الله تعالى، قال الله تعالى:»قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم»الزمر(٥٠ استشعارك بالحسرات دليل على شدة ندمك وندمك هذا توبة وإنابة.

قال الشاعر:

أشكو إليك ذنوبًا لست أنكرها وقد و جدتك يا ذا المن تغفرها

فهذا مثال لطيف عن حسن ظنك بالله تعالى، وكلما حسن ظنك زاد قربك فبكاؤك في الخلاء وحيدا أثناء ذكرك له علامة على قربك منه وتسبيحك بحمده وتقديسك له إشارة إلى قربه منك.

ففر ممن ينادى من مكان بعيد واسلك طريق من يناديك من قريب تصل قلت:فمن هذا الذي ينادى من بعيد؟ قالت: كثير؛ أشقاهم من ينتهك محارم الله تعالى ولا يزدجر وكل فتات متكبر وهلم جرا.

قلت: ومن ينادى من قريب؟

قالت: قليل؛ منهم العارف والذي وضع له القبول في الأرض وألطفهم المحب البكاء الذي ببكائه نبتنا، هناك مالت الزهرة الحسناء وزاد توردها كأنه أصابها انزعاج و أرادت أن تتكئ على أنملة سبابتي اليمنى، بكت فأبكتني.

قالت: لا تؤاخذني على ما صدر مني، فذاك من فرط حبي له فنحن يغشى علينا أحيانا من نظرة إلى جمال أو لسماع ألحان أو إذا بانت عبارة أو لاحت لنا إشارة وكما قلنا لك سابقاإن قلوبنا رقيقة وعيوننا دمعها سيال.

واعلم أن قربه من عبده على حسب مرتبة عبده منه؛ فمنهم من ألبسه بكسوة قرب العوام ومنهم من زينه بحلة قرب الخواص، و منهم من خلع عليه برداء قرب

المصطفين الأخيار، وأعلى مراتب القرب قرب الحبيب عليه أفضل صلاة و أزكى سلام، فقرب العوام بأركان الإسلام، وهو بمثابة الرأس من الجسد، و قرب الخواص زاد عليه بالمعرفة وكشف الحجاب؛ وهو بمثابة القلب منه، و قرب المصطفين بالاختيار وزاد، على ما قبله باليقين وهو بمثابة الروح.

أما قرب الحبيب فهو المثل الأعلى لهذه المراتب ولا قرب بعده في العالمين، والعوام من المؤمنين في قربهم مقلدون متفاوتون، والخواص في قربهم متبعون للآثار متنافسون بما لاح لهم في الآفاق من الأنوار، أما المصطفون الأخيار ففي قربهم متأدبون لسماع خطابه مطمئنون بشهود جلاله ليس في قلوبهم نصيب لغيره.

قلت: هذا كلام قد يعتبره بعض الناس ضلالا.

قالت: قل له نحن طيبات لا يخرج منا إلا طيبا، و من لم يفهمه فلأنه لم يطب بع، وقل له ديننا له ظاهر وباطن و لب، ولكل منزلة من هذه المنازل ذوق تختص به.

قلت: كيف؟

قالت: ظاهره المعاملة وباطنه الإيمان ولبه الإحسان، وليس بعد هذا إلا الضلال فهل فهمت اعتقادنا؟

قلت: نعم، وهل توضحين كلامك أكثر؟

قالت: مثله كشجرة طيبة ولا شجرة أزكى وأبهى منها، جذورها المباركة الإقرار بالإسلام وفروعها المخضرة التحلي بالإيمان وثمراتها اللذيذة الإحسان. فمن لم يرتق فيه لن يذوق حلاوته؛ وحلاوته حب الله تعالى وحب حبيبه المصطفى صلوات الله و سلامه عليه وعلى آله الطيبين ثم حب من أحبها.

اللهم يا ذا الجلال والإكرام اجعلنا مع الذين قلت فيهم«و سيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين»الزمر (٧٠) ثم قالت: اللهم زين بنا رياض جنانك بالقرب من

أحبائك، قلت امين يا ارحم الراحمين .لكن اخبريني ما الاحسان .

قالت: هو كما أجاب الحبيب عليه الصلاة والسلام الروح الأمين عليه السلام أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك؛ فعبادة الله تعالى هي الخضوع له سبحانه واتباع ما أنزله على حبيبه صلوات الله وسلامه عليه من الأعمال الصالحة و الأقوال الطيبة.

ولا تتم هذه العبادة إلا بتحليها بما لها وما عليها، بما لها برؤيته لك و ما عليها برؤيتك له ومن شروط رؤيتك له معاملتك له بحب والتوجه إليه بصدق وإخلاص واعتقادك يقينا أنه سبحانه أقرب إليك مما سواه، يعلم ما في نفسك وما يكنه صدرك فكيف لا تراه بنور قلبك؟!

واعلم أن الذكر هو روح هذه العبادة والمحبة هي ثمرتها؛ فكلما ازداد ذكرك له على هذه الطريقة ازداد قربك منه سبحانه، قال تعالى: - «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان» الرحمن (٩٥.)، «للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون» يونس (٦٢)، ولا تنسَ أن سعادتك الأبدية كامنة في محبتك له، و احذر من أن تقع في مصيدة من مصائد الشيطان فيصدق عليك قول الناظم

أنت في غفلة وقلبك ساهي فغدا العمر والذنوب كما هي

جمة أحصيت عليك جميعا في كتاب وأنت عن ذاك لاه

لم تبادر بتوبة منك حتى صرت شيخًا فحبلك اليوم واه

فاجتهدفي فكاك نفسك واحذر يوم تبدو السمات فوق الجباه

و قد قيل في الإحسان إن بدايته المراقبة وبساطه المشاهدة ونهايته المعرفة والمحبة، كما قيل في الإسلام إن بدايته التوبة وروحه التقوى ونهايته التسليم. أما الإيمان فهو نور يقذفه الله عز وجل في قلب عبده لعلمه بصلاحه، وهو ينمو ويزداد توهجًا في قلبه بازدياد قربه منه سبحانه، وللإحسان علامات عزيزة تدل

عليه كالحياء وغض البصر ونور يعلو الوجه.

قال الشاعر:

شوقي إليك متجاوز وصفي وظهور وجدي دون ما أخفي

ياليت جسمي كله حدق حتى أراك وليته يكفي

ما دار ذكر منك في خلدي إلا طرفت بدمعتي طرفي

ولنا في الإحسان أقوال كثيرة ينفد حبر أقلامنا في كتابتها قبل نفادها.

قلت: فما هي المراقبة حتى جعلتها من بدايات الإحسان؟

قالت: المراقبة هي علمك بإطلاعه سبحانه على أسرار قلبك وخفايا نفسك فهو لا يخفى عليه شيء، قال تعالى---: «وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب»المائدة مائة (١١٦)، ومن عرف ربه كيف يصغي إلى غيره أو ينظر إليه، ومن ذاق لذة مناجاة مولاه، كيف له أن يستأنس بغيره فالمعول عليه لا على غيره نعم المولى هو و نعم الوكيل، والمراقبة صنفان ظاهرية وباطنية، فظاهرك مع الخلق بجوارحك لا تجرحهم بها بل توجهها فيما يرضي الرب، تعاملهم بالحسنى و تنصح لهم ولسانك ذاكر.

وباطنك مع الحق مشاهد لجلاله وقلبك ذاكر، قال تعالى: «ادعوا ربكم تضرعًا وخفية»الأعراف (٥٥) وقال تعالى:«واذكر ربك في نفسك تضرعًا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والأصال ولا تكن من الغافلين»الأنفال(٢٠٥)، وقد سمعنا من قبل عندما مررنا بمجالس المحبين أن المراقبة تكون مع كثرة السجود وانسكاب الدمع ونثر الدر، قلت: ما معنى هذه العبارة؟

قالت: ذكرك إياه بما يحب، فابك ما دمت حيًّا قبل أن يبكى على فقدك بعد موتك، قلت: صدقت، لكن متى تبكي العين؟

قالت: عندما يبكي القلب لا تدري العين من أين يأتيها الدمع، وأصدق بكاء في رأينا بكاء المحبين، أما الذي بكى خاليًا من خشية الله فهو في ظل الرحمن لا يمسه سوء، قال تعالى: «أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا» مريم (٨٥)، فاجعل لنفسك أوقاتا تتفرغ فيها للبكاء، تذكر أحبابك الذين رحلوا وزر قبورهم .

سلم عليهم وادع لهم ولمن معهم، لا تبكِ عليهم بل ابكِ على ما فاتك من الصالحات وعلى ما اقترفته من السيئات، حاسب نفسك وانظر إلى عيوبك وذنوبك، وقل رب اغفر لي ولوالدي و ارحمهما كما ربياني صغيرًا والمؤمنين والمؤمنات. الزم هذا الباب فهو من أبواب الرحمة و الرضوان.

قال الشاعر:

تفانوا جميعا فما مخبر وماتوا جميعا ومات الخبر

تروح وتغدو بنات الثرى فتمحو محاسن تلك الصور

فيا سائلي عن أناس مضوا أما لك فيما ترى معتبر

و قال آخر:

وقفت على الأحبة حين صفت قبورهم كأفراس الرهان

فلما أن بكيت وفاض دمعي رأت عيناي بينهم مكاني

واعلم أن القلب إذا رق جرت دموعه وفاضت عيونه، وأن كثرة الذنوب تميت القلوب، واعلم أن من تذكر ذنوبه ولم يبك فكان لا قلب له، وأن من لم يبك لرؤية آثار أو لسماع، أخبار فكان لا سر له كمن نودي من قريب ولم يستمع.

سكتت الزهرة الحسناء لحظة ثم قالت: يا نور اجعل بيننا وبينك موعدًا قبل الغروب.

أما الآن فدعنا نناجي المولى ونذكره بما ألهمنا من جزيل الثناء عليه و بعد ذلك نعود إليك لنحدثك بما أخبرنا به من نفائس الأخبار ودرر الآثار جعلنا الله وإياك من الأخيار والسلام، على من اتبع الهدى.

بحمد الله تعالى تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع إن شاء الله تعالى و صلى الله وسلم على سيدنا محمد الذي اصطفاه الله على العالمين وجعله آية للمعتبرين و قدوة للمؤمنين وعلى آله الطاهرين وصحبه الطيبين.

الغزال نور الدين

أصيلة ٤ رجب ٤٣٤١ هجري الموافق ل ٥١ مايو ٣١٠٢ميلادي.

obeikandl.com

مراجع الكتاب

القرآن الكريم
فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني
صحيح مسلم
الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي
الإحياء للغزالي
مصارع العشاق للسراج القارئ
تزيين الأسواق لداود الأنطاكي
المستظرف للأبشيهي
لوعة الشاكي للصفدي
نسيم الصبا لابن حبيب الحلبي
ديوان الصبابة لابن حجلة
ديوان ابن الفارض
تاريخ بغداد للخطيب البغدادي
المواقف والمخاطبات للنفري
اللمع للسراج الطوسي
ديوان الحلاج
ديوان أبي العتاهية

obeikandl.com

نبذة وجيزة من حياة المؤلف

الغزال نورالدين ازداد بمدينة العرائش، وهي مدينة صغيرة ساحلية تقع بالشمال الغربي للمملكة المغربية، بتاريخ ٥٢ مايو من سنة ٧٥٩١ ميلادية، درس الابتدائية والإعدادية بنفس المدينة وبعد ذلك توجه إلى مدينة تطوان لمتابعة دراسته الثانوية، ونال شهادة الباكلوريا شعبة علوم رياضيات منها سنة ٨٧٩١م ثم التحق بكلية العلوم شعبة رياضيات-فيزياء، بعد سنتين تم قبوله كأستاذ متدرب بالمركز التربوي الجهوي بمدينة طنجة وفي سنة ٢٨٩١م نال شهادة الكفاءة، التربوية وعين أستاذا لمادة الرياضيات سلك إعدادي بثانوية وادي الذهب بمدينة أصيلة، وهو إلى حدود سنة ٣١٠٢م لا زال يزاول عمله بها، له مذكرات في الطفولة والشباب ومؤلفات لم تنشر بعد.

obeikandl.com

فهرس

مقدمة 9
الجزء الأول 11
الجزء الثاني 72
الجزء الثالث 101
المراجع 120
نبذة وجيزة من حياة المؤلف 121

obeikandl.com

obeikandl.com

رقم الإيداع / ١٩٥٠٥/ ٢٠١٤

الترقيم الدولي / ٠١-٤٥- ٥٣١١ - ٩٧٧- ٩٧٨

مطبعة إبراهيم سالم

01224272327 -01017180938 -01202043326

obeikandl.com